

www.alkottob.com

المشروع القومي للترجمة

العنف والنبوءة

دراسات وقصائد مختارة

من

و.ب. بيتس

ترجمة

ياسين طه حافظ



www.alkottob.com

تمهيد

« بيتس أعظم شاعر فى عصرنا .. » هكذا وصفه إليوت . هو عقل شعري مثلما هو نظام براعات فى التعبير . لكن بيتس بالنسبة للترجمة ، من أكثر الشعراء افتقادا لمزاياهم حين يترجمون إلى لغة أخرى . فقصيدته قائمة أصلا على هذا التوازن العجيب بين الفكرة والعبارة . وعندما يختل التوازن ، تختل القصيدة كلها . محير بيتس فى الترجمة . فحين أكون حرفيا فى ترجمة بعض عباراته ، أخل بسحر العبارة . وحين أريد لها تعبيراً شعرياً أجمل ، يحتج على المعنى :

هذا ماواجهته وأنا أترجم بعض قصائده . لهذا ، تخليت عن ترجمة بعض من قصائده ، شعرت أنها تحتاج إلى مقدرة ترجمية أكبر من هذه الترجمة المتواضعة التى أملك . على أية حال ، مانقدمه اليوم ، هى قصائد مختارة كبيرة ، وشواهد نقدية تعرف ببيتس وتكشف عن غالب مزاياه ..

أردت بدءاً أن أكتب أنا عنه بحثاً ، دراسة فى شعره ، وقد أحببته وصحبت قصائده واهتمت بما كتب عنه ، لكنى رفقت بنفسى وتركت الأمر للأساتذة ذوى الفضل المتخصصين به . فاخترت دراسة الأستاذة أ . ج ستوك : العنف والنبوءة ، من كتابها : « وب بيتس : شعره وفكره » ، واخترت دراسة الأستاذ نورمن جيفرز عن « البرج » أهم دواوين الشاعر ، من كتابه « وب . بيتس إنساناً وشاعراً » . فشملت الدراسات أغلب القصائد التى اخترناها ، مثلما اختلفت الدراسات من هجا وأسلوباً ، فتكاملت فائدتهما لنا .

أتمنى ، بعد قراءة الدراساتين ، وبعد الانتهاء من قراءة القصائد ، أن يحس القارئ بأن الكتاب قد أدى مهمته فى التعريف بهذا الشاعر الكبير .

حمداً لله على عونه ، ومعذرة عن كل زلة أو ضعف ، فقد بذلنا ما تمكنا عليه من جهد ، وأردنا لنا وللشعر والناس خيراً ، والكمال لله وحده ..

www.alkottob.com

العنف والنبوءة

صدرت « البجعيات البرية فى كول » * The Wild Swans at Coole فى لندن ١٩١٩ . وقد أظهرت لنا هذه المجموعة كيف أن بيتس Yeats فى أول مجموعة تصدر له منذ اندلاع الحرب سنة ١٩١٤ ، لم يكن شاعرا « إنجليزيا » (كما تتطلبه إنجليزية ذلك الزمن) . فقد كان رد فعل الحرب عند الشعراء الإنجليز مختلفا ، وسواء رحبوا بالحرب ، مثل أولئك الذين بدأوا معها ، أو كرهوها ، فقد كانت الحرب تجربة جماعية هائلة الحجم لا مجال لتجنبها ، وقد بقى بيتس بعيدا عنها . مرثيته لـ روبرت جريجورى تندب الرجل ، لكنها لم تقل كلمة عن الحرب التى مات فيها . فى « طيار أيرلندى يتنبأ بمصيره » تقدير بارد ومعتدل :

أولئك الذين أقاتل لا أكرههم
أولئك الذين أذود لا أحب .

كانت تلك القصيدة غريبة على القراء الإنجليز ومتفردة ، وحينما طلبت منه ، فى ذلك الوقت ، قصيدة حرب ، كان جوابه :

« أعتقد بأن الأفضل للشاعر ، فى أوقات مثل هذه ، أن يظل صامتا ، فالحقيقة أننا لانملك موهبة تكفى لإظهار رجل الدولة مستقيما ، إنه يمتلك الكثير من التساؤل عمن يستطيع إبهاج فتاة فى ريعان شبابها ، أو رجلا عجوزا فى ليلة شتائية .

مجموعة بيتس « مسؤوليات Responsibilities » تقنعنا قناعة كاملة بموهبته ، فهى تظهر مسألة حق رجل الدولة فى الاستجابة للأشياء التى تستثيره ، ولاتسمح الحرب له بذلك . فأحداث الحرب ليست له ، ولا تهمه وقائعها .

* نميل إلى ترجمتها « التم البرى فى كول » ، لكن تشابه صيغة المفرد والجمع ، وحاجتنا إلى المفرد ، كما سيتضح عند ذكر بعض القصائد جعلنا نفضل البجعيات ... إضافة إلى ألفة هذه الكلمة الأخيرة واقتربنا بأعمال فنية معروفة فى الرسم والباليه ... المترجم .

أما الانتفاضة الأيرلندية *The Irish Rising* ، فى أسبوع الفصح ١٩١٦ ، فقضية مختلفة جدا . وإذا استثنينا بضعة عقول متجردة بشكل غير اعتيادى ، فإن معظم الإنجليز نظروا إليها كخيانة يصعب الحديث عنها . أما بالنسبة لـ بيتس ، فهى تنتمى لذلك العالم الذهنى الذى لم ، وإن يستطيعوا تبينه . كانت الثورة بالنسبة لبيتس ، الذى قرر بكل عواطفه ، أن يكون أيرلندا ، صدمة ذات صلة بمشاعر وخصومات حياته . فى ١٩١٦ كتب إلى جوزيف هون Josef Hone ، الذى سيكون كاتب سيرته فى المستقبل :

« اعلم أن عملى قد تم بكل تفاصيله باتجاه الهدف الأيرلندى ، لكن صعب على أولئك الذين يعرفونه أجزاء إدراك ذلك كله ، وبخاصة إذا كان جل ما يعرفونه عنى هو بعض الاختلاف معهم على الفكرة الأيرلندية » .

المسألة هنا إذاً ، وليس فى الحرب العالمية ، لقد وصل إلى مفردات روح العنف ، وأدرك أن أنماط الأحداث فى أوروبا هى أصغر ، ولكن ليست أقل كثافة ، مما فى أوروبا بعد الحرب . ذلك ما أعطاه فلسفته للتاريخ وتفسيره للأمور التى ستقع . وذلك نفسه سبب كتابته عن « أسبوع الفصح » ، ولم ينشر فى إنجلترا إلا بعد نشر « التم البرى » أو « البجعات البرية » بسنتين . وفى ١٩١٩ كان من العسير أن يصغى أحد لذلك الصوت .

التمرد الذى حصل ، خيب تقديراته ، وفى الوقت نفسه ، بحال ما ، أكد إيمانه . لقد جاء ذلك مفاجأة كاملة . وقد كان ساخطا بسبب اكتشافه أنه لم يكن موضع رضا عند أحد . صحيح أن المديرين (لذلك التمرد) لم يقولوا بحقه كلاما غير ضرورى ، لكن ذلك لا يغير حقيقة أن تلك المفاجأة أظهرت مدى المسافة التى تفصله الآن عن المتمردين . لقد تتبعنا خطة القومى فى البداية ، كان تعاطفا رومانسيا بسيطا . وجد فى روح أيرلنده كل شئ صبا إليه ، وأهمل كل شئ سواه . الصواب الوحيد بالنسبة له كان : أن على جيله إحياء التقليد البطولى لأسلافهم . لكن مشكلة هذا الجيل أنه لم ينشأ فى عالم يعرف ما يعنيه التمرد المسلح . كاثلين نى هوليهان Cathleen ni Houlihan ، أبسط مسرحياته وأكثرهن دينامية ، تنتمى لهذه الرؤية . كانت دينامية لبساطتها : هى لاتناقش أمرا ، لا تعد شيئا ، لكنها تتخذ المعركة سبيلا لذات الحرية ، كما هو شأن الناس والآلهة التى يعبدون ، « لكنها عبادة صعبة هذى التى يتخذها هؤلاء . فكثيرون من حمر الخدود الآن سيكونون شاحبي الخدود ، وكثيرون ممن هم أحرار فى السير إلى التلال والبرك والسيول ، سيجبرون

على السير فى شوارع صعبة فى أقطار بعيدة ، وكثيرون من ذوى الأفكار الجيدة سينكسون ، وكثيرون ممن جمعوا مالاً لن يكون لهم وقت لصرفه ، وكثير من الأطفال سيولدون دونما آباء يمنحونهم أسماء فى التعميد . أولئك الذين خدوهم حمر ، سيكونون ذوى خدود شاحبة من أجلى . وهم لذلك يعتقدون بأنهم قد نالوا ثواباً طيباً .

« كاف أن نجعل العريس فى المسرحية يترك عروسه ، لأن الشاعر والجمهور متأكدان بشكل متساوٍ من أن ذلك يجب أن يتم كذلك . حتى بالنسبة لجيل لاحق ، ستبدو هذه الكلمات تضحية رومانسية باهتة . نحن نعيش من أجل أشياء لا علاج لها وكأنها كل شئ ، لكن ذلك كان فى ١٩١٢ ، حينما كان العنف حلماً . هل (حرضت) مسرحيتى وأخرجت بعض الرجال الذين أطلق عليهم الإنجليز النار ؟ ربما فعلت ذلك . لابصورة مباشرة ، لكنها ربما ساعدت على إخراجهم ، بقليل من السماحة لم يكن أحد هناك حين كتبتها .

لقد منح الخيال حياة فسرى عبر قنوات كثيرة ، إنه ضمن الشعور القومى المقنع فى كتب وقصائد وعواطف غنائية وفى العديد من الخطب النارية ، وشكل رؤيا شئ يقاتون من أجله . ظلت هذه الرؤيا أفضل من الشكوى :

وشجاعتنا تنكسر مثل شجرة قديمة

فى ربح سوداء ، وتموت

لكن الشعلة فى قلوبنا تخفى عن عيني

كاثلين بنت هوليهان

لكن أفكاره الخاصة خلقت المسرحية وراءها ، فغير « أوليرى » لم يكن الوطنيون الذين عمل معهم أبطالاً أسطوريين ، ولم يحملوا رؤياه لأيرلنده . فى واحدة من مقالاته كتب :

« حين مات أوليرى ما استطعت حمل نفسى لأحضر دفنه ، وإن كنت من العاملين القريبين إليه ، فقد التمت نفسى من أن ألتقى عند قبره بالكثيرين الذين كانت قوميتهم تختلف كثيراً عن أى شئ علمه ، أو شاركته فيه ... تعلمت الكثير منه والكثير من تايلور ، ومن أيرلنده

المثالية ، وربما من أيرلنده خيالى ، وعملت فى خدمتها ، تلك التى ستكون فى كثير من مبادئها أيرلندتهم جميعا » .

ويمضى مفسرا كيف كانت كتاباته تعمل لإيقاد الوطنية لكن بصورة شعله من الكراهة لكل شئ خسيس فى العالم الحديث ، كل شئ كرهه رسكن وموريس . اشتراكية موريس ماتركت أثرا عميقا فيه ، لكن موريس الإنسان أوحى له بفكرة الكراهة الفخمة ، ذلك هو الجانب الآخر لإيمان الشخصية القومية . ظلت هذه الفكرة معه أبدا ، وضعت حدا قاطعا لقصائد الشيخوخة ، وصارت له عقيدة تمرد .

فى قصيدة ريب Ribh يرى الحب الكنسى لايكفى :

درست الكراهة بدأب كبير

فتلك عاطفة تحت إمرتى

نوع من مكنسة تطهر الحس

من كل ما هو ليس عقلا ولا معنى

والحقيقة أن فى شعر بيتس نوعا من كراهة صغيرة . حتى إن كتابه الأخير - الذى صدر فى ١٩١٠ وبعد كتابتى المقالة ، فما استشهدت به - وجه ليكون ضد الأتباع الريفين مباشرة ، أولئك الذين ما استطاع إقناعهم بتطهير أنفسهم بالكراهة العادلة . هو لم ير فائدة فى « العواطف المنحطة للعقول المنحطة » . وحين كان يعمل مع مود جون ، التى ما تدنت فى فكرها ، علمته ألا يشاركها توقها الذى لا يهدأ لفعل من أجل الفعل . على أية حال ، فهو لم يثق بالارتباطات السياسية الصرف التى تحول بين الناس وبين إدراك عظمة الحدس ، بيتس علم الناس أن يحبوا ويكرهوا نظريا . لاشك بأن إعجابه بـ ليدى جريجورى ، التى تشاركه فى مثالية الفن ومثالية أيرلنده ، وتقف خارج السياسة القومية ، يعتمد على هذا الإحساس . وقد أغاظه زواج مود جون بـ شين ماكبرايد Sean Macobrido بدلا منه ، لكن تلك إدانة نتجت عن أكثر من عاطفة شخصية واحدة . لخص دروس ثلاثة خلافاً جماهيرية بهذا الرأى :

« لا الدين ولا السياسة يمكن أن يخلقا وحدهما

عقولا متفتحة تفتحا يجعلها حكيمة أو عادلة

وكريمة إلى الحد الذى تتمكن فيه من خلق أمة . «
جهده الشخصى كان موجها إلى تنقية الخيال ، عبر المرآة على الأقل ، وفى
خطوط تبعده عن الإنسياق مع العنف الجماهيرى .

لم يفقد بيتس إيمانه بفكرته هو عن البطولة ، بل إنه لم يؤمن بأفكار رجال جيله ،
الذين بدوا له صغارا وبدون أن يكتبوا فصلا بطوليا واحدا فى التاريخ . وبما فقد بعض
الإيمان بنفسه ، حينما إنساق مع البقية . ذلك ما أضفى المرارة على قصيدته
« أيلول ١٩١٣ » ، ولايعنينا مدى رضاه عن لوحات « لين » التى حفزته لكتابتها :

أى حاجة لكم بعد وقد عدتم للعقل
غير أن تجسّوا خزاناتكم المزينة
وتصيغوا نصف البنس إلى نصف البنس
ودعاء راعشا إلى دعاء
حتى يجف النخاع فى ظهوركم ؟
ولد الرجال ليصلوا ولينقذوا أيرلنده
الرومانسية ، تلك التى ماتت وارتحلت ؛
فهى مع أوليرى فى القبر .
مع أنهم كانوا غطا مختلفا ،
تلكم الأسماء التى أسكتت لعبكم الطفولى
لقد ارتحلوا حول العالم مثل ربح ،
فقد تسنى لهم وقت قصير ليصلوا
من أجل الذين لهم نسج حبل الشنق

وماذا يستطيعون ، أعاننا الله ، أن ينقذوا ؟

أيرلنده الرومانسية ماتت وارتحلت ،

فهى مع أوليرى فى القبر .

بعد أقل من ثلاث سنوات ، دعا رجال من هذا الطراز ليمضوا مفتوحى العيون
كى يقهروا موتا معينا تقريبا ، يعلن الجمهورية الأيرلندية .

كان من الطبيعى والضرورى أن يرى الإنجليز التمرد الأيرلندى هو
مضمون الحرب التى يخوضونها ، وحينها لم يبالوا كثيرا فى خلفية ذلك التمرد ،
بينما كان كل أيرلندى يعرف ذلك . قبل الحرب أجاز البرلمان قانون الحكم الذاتى
الأيرلندى Irish Home Rule Bill . السير إدوارد كارسون سلح ودرج متطوعى
أولسترا Ulster Volunteers ، ليعلنوا بالقوة الانفصال عن إنجلترا . وبدا مؤكدا
تقريبا أن الحكومة سوف تسمح لهم بذلك ، بعد أن علقت الحرب هذا الموضوع .
كان الإيمان ضعيفا بتطبيق إعلان الحكم الذاتى إذا ما انتهت الحرب . خارج
أولستر كان عموم الأيرلنديين يطالبون بحقهم الأبدى فى الحرية ، مشددين على ذلك ،
حدّ أن الخدمة الإلزامية التى صارت قانونا فى إنجلترا ، ماكان ممكنا فرضها
على أيرلندة .

الرجال الذين قاموا بالثورة ، فعلوا ذلك وهم ينتظرون إحباطها . لكنهم ظنوا من
غير المجدى انتظار موافقة إنجلترا . فإن هم ارتضوا الموت مؤمنين بأهدافهم ، سيؤكد
ذلك الحدث وجودهم ، ذلك لأن موتهم سيدفع الأمة لأن تقاتل حتى تنال حريتها .
شجاعتهم لا اعتراض عليها : تصوروا أن الإنجليز بعد الحرب سيرتضون بمنح الحكم
الذاتى . لكن الثورة تركت ذلك السؤال معلقا دون إجابة إلى الأبد .

طبعاً كان بيتس على بينة من ذلك ، ومتحسبا لانعكاسات ذلك الحدث على
مشاعره الشخصية . كان واحد أو اثنان من القادة الموتى من أصدقائه . قلل من شأن
بعضهم وازدري البعض الآخر . واحد منهم كان شين ماكبرايد (وقد مضت مدة طويلة
على انفصاله عن مود جون) ، وقد كان يراه بيتس من نمط كل الديماغوغيين الهوائيين .
كان بين الأنصار شباب متحمسون . أولئك هم الذين كان لهم تأثير فى شعره . كتب
لصديق فى أمريكا :

أمر على الماضي فى عقلى متسائلا
إن كنت مستطيعا فعل شئ لاحرف
أولئك الشباب نحو اتجاه آخر

ما كان ممكنا أن يتوقع الانتصار ، بل كان يرى أن ذلك الفعل سيولد فتنة تدفع بالجهود التى يبذلونها سنوات إلى الوراء ، هذا إذا هى لم تحقق تماما . فمن الذى سينكسر قلبه على مطلب دبلن لصالة فن ؟ الشئ الأكثر وضوحا مهما كان غريب المضامين هو أن الرجال الذين لم يحترمهم قد غيروا فعلا نوع الحياة فى جيله .

لم تكن مود جون فى الثورة ، ولكنها عاشت الأحداث ، كانت قليلة التردد جدا فى اتخاذ قرارها . وقبل إن تعلم بـ إعدام زوجها * كتبت إلى بيتس من فرنسا تدين العمل أخلاقيا وتقول أن تلك « الكرامة المأساوية قد ارتدت ضد أيرلنده . » بيتس نفسه أهال أفكاره غير المتسلسلة إلى ليدى جريجورى ، بعد أيام قليلة من أسر قادة الثورة قال فيها : « أحاول أن أكتب قصيدة عن الرجال المعدومين » ، « جمال مزعج يولد مرة أخرى » .

ربما كانت هذه القصيدة ، التى لم تكمل حتى أيلول ، أبرز القصائد التى تتناول حدثا جماهيريا فى عصرنا . فهى بارزة بإخلاصها وتعقيدها . منذ أغنية « هانراهان الأحمر » ظل بيتس فى عزلة دامت أربع عشرة سنة ، وقد تمكن الآن من أن يكون صوت العاطفة الجماعية ، تساؤله الشخصى وارتبائه وعدم يقينه فى تلك القصيدة لايلغى تلك الصفة ، فقد أدار فعلها فى القصيدة ، حولها إلى حس من الانسجام جديد يتكرر فى ثيمة :

كل شئ تغير ، تغير تماما

جمال مزعج ولد .

هو يفكر بأولئك الرجال كما عرفهم ولم يحترمهم فى حياتهم :

* سبق أن أورد الكاتب أنهما كانا منفصلين فى هذه الفترة ... المترجم .

وأنا متأكد أنهم وأنا

نعيش حيث تُرثدى الملونات من الثياب

العبارة الاعتراضية « وأنا » المتضمنة نفسه وهو يحكم على جيله ، تشير إلى كبر المسافة التي تفصله عن « أيلول ١٩١٣ » المرير وإلزام المتعجرف . ثم هو يفكر فيهم : كونستاس ماركيفيتش الذى بدت له عاطفته السياسية الحادة نكرانا لجمال أيرلنده وسلالاتها ، بيرس وماكونا ، وعدوه القديم ماكبرايد ، ونرى كيف وضع ماكبرايد آخر القائمة وقد امتلك كل قوة التخلي :

هو الآخر ، تخلى عن دوره ،

فى الكوميديا العابرة،

تغير كليا

جمال مفرغ ولد .

ولم تتغير قناعته ، بقيت كما هى ، عارض تعصبهم لأنه حول فى ذهنه كل الحياة إلى نظرية واحدة ، إلى مفهوم وعاطفة هزيلين ، تركوا كل خبرة وراهم . هذا ما أبعدته عن القادة الموتى . فى المقطع التالى ، وهو لب القصيدة ، يؤكد إيمانه من خلال ثيمة الحجر والجدول :

قلوب لها غرض واحد

تبدو عبر الصيف والشتاء

قد تحولت حجرا

يربك الجدول الحى

الجواد الآتى من الطريق ، وراكبه

والطيور الدائرة من سحابة تهبط

إلى سحابة دونها

(كل ذلك) يتغير دقيقة بعد دقيقة ،

حافر الجواد ينزلق فوق الجرف
فيخوض الجواد فيها ،
دجاجات الماء طويلة الساقين تطفو
دجاجات الماء يدعون ذكورهن
يعشن دقيقة دقيقة
والحجر فى وسط الجميع .

لاتخلّ هنا ، لكن يبدو أن الصورة تنمو وهو يكتب ، ساحبا فوق قسيمة الاستياء
كلها هدوء عالمها . فى الأخير لم يعد تحجرهم بتلك البساطة التى رأى فيها ضيق
أفقهم . ضيق الأفق الذى لامهم عليه ، لكنه يبدو بعضا من طبيعة الأشياء . هى
تراجيديا المعركة التى تساقط فيها رجال عددهم أكثر من عدد الذين ماتوا .

التضحية الطويلة جدا

تحولّ القلب حجرا

آه متى تنتهى ؟

ذلك دور السماء ، أما دورنا

فهو أن نهمهم باسم فوق اسم

كما تهمهم أم بأسماء طفلها

حتى يشمل النوم أخيرا

أطرافا توحشت .

هو يرفض طلاوة التشبيهات ويعود إلى الحقيقة العارية :

كلا ، كلا ، ليس ليلاً ، ولكنه الموت .

أما وقد كانت نهايتهم الموت ، فقد أبعد كلَّ عالمٍ شكوكه واعتراضاته خارج موضوع (القصيدة) تاركا أسماءهم لاترد كما فى أية أسطورة :

كتبت ذلك شعرا -

ماكدونا ماكبرايد

وكونوللى ويرس

الآن وفى الزمن القادم

وحيثما يُرْتدى الأخضر ،

قد تغيروا ، تغيروا كليا

جمال مفزع ولد .

هذه القصيدة بتفعيلتها ذات الثلاثة مقاطع وقوافيها المطلقة التى لا تبعد الانتباه عن فكرتها ، هى إحدى القصائد التى نادرا ما كتب مثلها ، قبل أن يوظف مثالها ثانية فى تأملاته العميقة . يبدو أن أول استخدام له ، لهذا النمط من القصائد ، كان فى « صياد السمك » The Fisherman التى لا بد من أن كتابتها كانت فى زمن ليس بعيدا عن أسبوع الفصح . فى تلك القصيدة أيضا يحاول أن يفض الصراع بين ولائه لأيرلنده وعدائه للقادة الأيرلنديين ، فذهب إلى المكان نفسه ليضع أفكاره ضمن نظام .

مكان كان

فيه الحجر الأسود تحت الزبد

استخدام الصورة هنا مختلف تماما ، لكن المنطق العاطفى متشابه ، فكأن عقله تراجع هناك ليجد السكينة حيث تتوافق الأضداد . وإذ تواجه المرء وجهة النظر غير المستساغة فى الحياة ، والتى تتلاءم والبطولة ، فليس للعقل المتدنى غير أن يتنكر للبطولة أو يزدرى بها لينقذ صلاحها . العقل غير العميق تكتسحه الحالة فيتحنى جانبا . لكن بيتس لم يتنخل عن شئ : تمسك بإيمانه ووضع إلى جانبه العمل الثورى الذى لا يقل واقعية عنه ، وهياً نفسه لمواجهة العالم الجديد الذى ابتدعه . بعض الخيوط المعقدة فى نسيج هذا التلخيص ، نجدها منفصلة فى قصيدتين أو ثلاث كتبها بعد ذلك مباشرة . يقول بيتس :

إننا نجعل من خصومتنا مع الآخرين بلاغة

ومن الخصومة مع أنفسنا شعرا

لكن الفرق لا يبدو واضحا ؛ لعل كل خصومة شرسة مع العالم هي بعض من هجوم ، أو نتيجة لنصر حاسم في نزاع الروح مع نفسها . وإذا كان بيتس يكره الديماغوغيين والمهيجين ، فلأنه يعرف المذاق الطول لقوتهم ، فإن كان شاعرا جادا بحق ، فلن يسمح لهم بالتأثير فيه . في قصيدته « قادة الحشد » يحدد طريق اختياره بتأكيد اتهامهم بالتفنن بأغراض الدنيا والانشغال بها :

إن الحقيقة تتضح حيث يشع مصباح الدارس

حيث المتوحد لا يشعر بالعزلة

في جو من العنف ، نحتاج جرأة لمثل هذا القول ، لكن كراهته كانت لزيغ إيمانهم ولرخص ما يرتجون . لا هنا ولا في أى مكان في العالم سيهمه كثيرا ثمن تلك المعاناة الانسانية .

هي فضيلة المسيحية في التعاطف ، وليست هي النقطة القوية في شعره . شين أوكيسى الذى انغمر في التمرد ، استطاع أن يعبر عن بهاء البطولة وخستها وأثانيتها عند الرجل العادى وهو يؤدي دوره في الثورة ، ويعد « جونو والطاوس » و « المحسرات والنجوم » (لاوكيسى) . يبدو كل ما كتبه بيتس عن تلك السنوات باردا ومنطويا على الذات .

« بنت بيت كبير » ، تلك هي كونستانس ماركيفيتش ، حملت السلاح في أسبوع الفصح ، كان الطابور الذى قادتته بين آخر من استسلم . وبسبب كونها امرأة ، فقد غير حكم الموت بحقها إلى سجن مؤبد . هذا ، دون شك ، هو سبب رفع بيتس لاسمها من قائمة الشرف في نهاية فصح ١٩١٦

وأبياته عنها حسنة .

ضاعت أيام تلك المرأة

في النية الطيبة الجاهلة

ولياها فى النقاش

حتى ببح صوتها

ما أثر فى بيتس ليس شجاعة انتفاضتها ولكن دمار جمالها الذى كان يكفيها .
فى قصيدة له عن سجين سياسى « ، فكر بها وهى فى فراغ أيام السجن الطويلة ،
تربى نورسا كتبت هى ذلك فى رسالة لأختها « ، وتذكر ما كانت عليه .

قبل أن يفعم عقلها بالمرارة .

يتحول شيئاً مجرداً وأفكارها عداء عوام

فى تلك الأيام بدت له طيرا :

ولدت من البحر ، أو كانت متساوقة والرياح

و حين انبثقت فى عشاها أول مرة

فوق صخرة عالية ، راحت تحدق

بتلة غائمة

وتحت صدرها الذى ضربته العاصفة

تصيح أغوار البحر .

يبدو المجد النهار لذلك الطائر البحرى ، ظاهريا ، ويمنطق شعرى لايرد ، مليئاً
بالمعانى العميقة ، فهو مثل البحار الخطيرة التى سكنها ، دون توقع ، عندليب كيتس .
أنه كل ما لايعرف عنه نقاش المثقفين شيئاً ، إنه تلك الحياة الدقيقة للروح والغريزة
الدفينة فى الأعماق المجهولة وفوقها وتحتها وما حوالها ، تلك العوالم التى كان شعر
بيتس يسعى لإدراكها .

لا فرق بين تلك القصيدة والقصيدة التى أخطأ فيها بحق الكونتيسة . فقد كشفت
رسائلها من السجن أنها ، سواء فى السجن كانت أو حاملة سلاحها ، عاشت حياة
أكثر امتلاء ، أكثر حرية ومغامرة من أجل فكرة سياسية مما كانت ستعيش فى مجتمع
ساكن ، ذلك المجتمع الذى فيه ، أعجب بها بيتس ومنحها تفكيره . لم يتبين بيتس ذلك .
لأنه تمثل مود جون فى مخيلته وبقيت فى ذهنه أثراً ثابتاً . بقى حبه لجمال امرأة يرى

أنها والصخب السياسى على طرفين متباعدين كالخير والشر . أن الجمال المكتمل هو الحياة نفسها وقد تشربتها الروح حتى آخر حلية نيتها .

كل أحلام الروح

تنتهى فى جسد رجل جميل أو امرأة

ما تبقى هو ضجيج ماكنة العقل .

لكن الفكرة المهيمنة ، التى حافظت على العودة إليها « فصح ١٩١٦ » كانت نهاية تحول العالم بـ « جمال مزعج ولد . » وهذا المعنى يتردد بصورة أكثر قربا للحقيقة فى « ستة عشر رجلا ميتا »

أوه ، ولكننا توسعنا فى الكلام من قبل

الستة عشر رجلا قتلوا بالرصاص

فمن يستطيع الحديث عن الأخذ والرد

عما يجب أن يكون أو لا يكون

بينما أولاء الستة عشر رجلا ميتا

يهيجون غليان القدر ؟

بعد حوالى عشر سنوات ، وفى أغنية فى مسرحيته « البعث » ، تأتى هذه الأبيات :

شذى الدم وقت ذبح المسيح

جعل كل العذاب الأفلاطونى بلا جدوى

وبلا جدوى كل الضبط الدورى *

هى الفكرة نفسها تتردد بمضمون أوسع ، والمقارنة تظهر كيف أن الثورة الأيرلندية غارت عميقا فى عقلها لتظهر فى عموم فلسفته للتاريخ .

* الدورىون : الأغريق القدامى ... المترجم .

لقد غيرت الثورة ، بصورة غير مباشرة ، طريق حياته ، لأن موت شين ماكبرايد حرر مود جون . فتقدم للزواج منها سرا أخرى . ومرة أخرى وإلى الأبد ، رفضته . طلب من ابنة ماكبرايد من زوجته الأولى ، أيسولت ، التي أحبها بعاطفة تجمع بين الرعاية والتولع ، لكن هذه كانت شابة دون عمره ، فما سرها طلبه ، ورفضته . ثم ، وينوع من التخلي ، وضع نهاية لتلك القصة الطويلة وتزوج من جورج هايدليز ، George Hydeless التي اضافة لما وفرته له من سعادة ، منحته هبة غريبة ، تلك هي كتابه « رؤيا » .

بعد ١٩١٧ بدأ تدريجيا يضع صيغة فلسفة « رؤيا » وأيرلندا خلفية لأفكاره . كانت هذه هي سنوات العصيان المسلح ، التمرد المدني ، والقتال الفدائي ، الذي دفع الحكومة البريطانية لشن حملة قمع أسمتها « السود والسمر » * Black and Tan 7 ، أعقبتها اتفاقية ١٩٢١ . كمبعوثين من حكومة دبلن المتمردة ، قبل مايكل كولنز وأرثر كريفت السلطة على القسم الجنوبي من أيرلندا ، تاركين ست مقاطعات شمالية من أولستر تحت الحكم البريطاني . دي فاليرا ، De Valera ، الذي كان على رأس الحكومة ، رفض الاتفاقية ، وقبل بها بعض أصحابه ، فتحول العصيان المسلح إلى حرب أهلية ، انتهت تدريجياً ، إذ بسطت حكومة الولاية سلطتها . لكن بعد عشر سنوات فاز دي فاليرا في الانتخابات ، وبإعادة الاتفاقية سلمياً ، ظهرت جمهورية أيرلندا إلى الوجود . أولستر وحدها بقيت سبب نزاع ، وظل القتال يدور عليها بين حين وآخر .

ثمة رومانسية في كل هذا ، وبخاصة في البداية ، فقد هاجم الشباب والفتيات مراكز الشرطة والقطارات ، ونهبوا البريد وأقاموا محاكم جمهورية ودوائر بريد في أماكن سرية في التلال ، ونفذوا تشريعات حكومة في المنفى . كان هناك تفكك اجتماعي سريع تحول إلى وحشية ، وحشية لم تهدأ أبداً ، ولا هذبتها لمسة الفروسية الرومانسية ، ليس غير ، وما أضافه الدين من مرارة بين كاثوليك الجنوب وبروتستانت أولستر . الحياة هانت ، قتل قادة بأمر قادة آخرين كانوا يحاربون إلى جانبهم قبل أشهر قليلة ، وتصعد الوجه البراق للرومانسية .

أما بالنسبة لغير المقاتلين في ذلك الوسط ، فقد استمرت الحياة اليومية ، ولكن على حافة عدم الأمان . الناس يمضون يتبضعون وقد ألقوا تفجر إطلاق النار في

* الترجمة الصحيحة لكلمة Tan هي اللون الأسمر المصفر . ارتضينا السمر لسلسلة التعبير وإيجازه ... المترجم .

الشوارع مثل أى حدث طارئ ، أو أنهم كانوا يستمعون إلى الاطلاقات فى الحقول ليلا ويتسألون : « أهى مناوشاب ، أم مخالفون يصطادون بطا ؟ » البروتستانت فى بيوتهم الريفية يسمعون أصوات جيرانهم الذين فقدوا كل شئ تلك الليلة غير حياتهم ، ويتضاؤل الاهتمام بالجيران ، ويتزايد عدم ارتياح الناس من أنفسهم . لكن ليس هذا هو الشاغل لأى من الجانبين ، فخلال سنوات قليلة ، كل طبقة الأسياد ، أصحاب الأرض الذين كانوا رمز بيتس للتقاليد والحضارة ، أولاء كلهم تقريبا قد احترقوا معنويا وهجروا أراضيهم .

لاشك أن الحرب الأوربية ، التى ما أعطت أيرلندة درسا ، كانت فى جوانب كثيرة أكثر إرباكا ، مثلما كانت أكثر سعة فى تدميرها ، وحرب أخيرة كتلك ، جعلت ما قبلها تبدو صغيرة . لكن فى حرب بين أمم لاخيار للإنسان العادى فى الأفكار . فالمقاتلون ينحازون أليا إلى أحد الأطراف ، والعدو لايفهم باعتباره إنسانا وجارا مقيما إلا بصعوبة وارتياب . فى الحرب الأهلية ، يختار الناس الجانب الذى يناصرون ، وقد يكون فيها الأخوة فى معسكرين متضادين ، وتصل النشرات إلى البيوت بحميمية أكثر . ويتضح التعاطف الضيق ويصير العيش والتضحية من أجل الأفكار ، أفعالا مطلوية . وهنا يضغط السلوك الانسانى ويحجر بشدة أكثر ، فيتفجر غالبا نتيجة ذلك وتكون المأساة ، يكون الدمار الذى لايمكن غض النظر عنه .

تبدو الحادثة الأخيرة ، فى قتال الأيرلنديين من أجل حريتهم ، ضئيلة القدر تاريخيا ، إذا ما نظر إليها من خلال فوضى العالم بعد الحرب . فهى محدودة جدا فى تأثيراتها ، قد انتهت بسرعة فما تركت قناعة بها . حدث كئى حادث يمكن أن يقع مرة أخرى أمام أعين ناس خبروا أن الحضارة ملكية قلقة .

فى ١٩٢١ كانت الثورة الروسية ما تزال « عجبا مظللا فى أكثر العقول الغربية . وما كان أحد يفكر بالفاشية والحرب ، وما كانت الأيديولوجية بعد كلمة فى القاموس اليومى . لكن خيال بيتس الذى مازال باردا تجاه الحرب ، كان قادرا على رؤية صورة مصغرة لأشياء ستحدث فى أيرلندة .

كان فى البلاد وخارجها فى آن واحد . فقد اشترى برجا مهدما وراح يصلحه . كان هذا البرج قريبا من دار « ليدى جريجورى » . أسمى هذا البرج « ثور باليلى » Thoor Ballylee ، خطط لأن يسكن هناك ، لكنه تردد بسبب زوجته

حتى تيسرت له فرصة حياة هادئة لطيفة . وهو يتجول حول البرج ، سمع تقارير جديدة عن اغتيالات ، رأى آثار معركة أخيرة هنا وهناك ذكرها فى رسائله دون أن يضحى بابتعاده عنها ، مظهرا ، وهو بعيد هناك ، اهتماما عميقا بمستقبل البلاد . فكر بأيرلنده كما فى بيته . لا يبالي بالنزاعات السيئة التى تحدث فيه ، لكن موقفه كان واضحا ، فهو لم يشارك بالحرب الأهلية . وما كانت الحكومة الحرة ولا الجمهورية تعنيان له شيئا قدر مايعنيه احتراق التقليد الذى من أجله توجد « كول بارك » وطريقة الحياة هناك :

حيث كانت العاطفة والنباهة يوما

خارج مدى العقل .

إن « كول بارك » نفسها لم تحترق ، لأن « ليدى جريجورى » كانت محبوبة فى ريفها . قبل بدء العنف بأيام عديدة شخصُ عدوٌ مثله بأنه :

ذلك الذى حين تثبت له أكاذيبه

لاتراه خجلا من نفسه

ولا من عيون جيرانه

وبينما يستمر العنف ، كان معلموه الأشباح يكشفون له كيف تنهض الحضارة وتُكسَح وأن لها علاقة بطريقة مغامرات الروح فى الأبدية . لا بد من أن أيرلندة أصبحت فى عينيه مرآة التأمل البلورية التى يرى فيها تاريخ البشرية كله .

وجد الكثير من هذا فى « ألف وتسعمائة وتسعة عشر » . إنها قصيدة يطغى فيها الرعب ، أو هى سلسلة قصائد . فيها ، يستوعب بيتس بأعصابه ما التقطه عقله وخياله ، ويُعمق فهمه الرعب لحظة يريد السيطرة عليه . عميق هو الشعور الذى ينقله إلينا من نفسه ، وهو عادة يكتب بصيغة المفرد ، أو على لسانه هو أو على لسان ثلاث أو أربع من الشخصيات الدرامية ، الذين هم أصوات ذاته ، فهنا ، لأول مرة يقول « نحن » وكأنه صوت الإنسانية كلها .

القسم الأول من القصيدة يتميز بتفوقه الموسيقى وبحميمية الأفكار . والقصيدة كلها سهلة اللفظ كأى شئ كتبه حتى الآن . تبدأ بنذب لأثينا :

كثير من الأشياء الحلوة البارعة مضت
بعد ما بدت للكثيرين معجزة
محمية من دائرة القمر
التي تظلى الأشياء حوالها
هنالك وسط البرونز المزخرف والحجر
صورة قديمة مصنوعة من خشب الزيتون -
بينما ارتحلت عاجيات فيدياس
وكل الجرادات الذهبية والنحلات
- وحضارتنا نفسها ترتحل فى الظلام ، بأمجادها المختلفة التي لاتبدو أقل
مقاومة أو صوتا .

نحن أيضا كانت لنا لعب جميلة ونحن صغار
القانون غير معنى بمن يلوم أو يمتدح ،
ولا بمن يرشو أو يهدد ،

.....

أيامنا مبتلاة بالتنين
والكابوس يمتطى يومنا
وهناك جندى ثمل يترك أمه
المقتولة عند الباب *

* فى « انتقامات :

عسكر نصف مخمورين ، أو مجانين تماما يغتالون نزلاك ، وربما كانت حديثات الزواج يرضعن
أطفالهن فيقتلوهن وهم يملون

يزحف فى دمها وينجو من ضربة الواجب

الليل ينضج رعبا ، كما من قبل

وقد وزعنا أفكارنا فى الفلسفة

وخططنا لأن نخضع العالم لقانون

لكن ، ما نحن غير أبناء عرس تتقاتل فى جحر .

الصورة مستقاه ، دونما خطأ ، من أيرلنده فى أيام « السود والسمر »* . ولكى ندرك مدى المرارة فى فترة الفوضى تلك ، نحتاج لأن نعود ببصرنا إلى براءة كاتلين بنت هوليهان أو لما قاله فى الذكرى المئوية لـ وولف تاون . فييتس يقرأ فى وجه أيرلنده انهيار ألفى سنة من الجهد البشرى :

ذلك الذى يقرأ الرموز ولا يغرق مجهولا

نصف مخدوع بسموم فطن ضحلة

الذى يعلم ألا طائل يبقى

من بذل الصحة أو الثروة أو هدوء العقل

فى عمل كبير للفكر أو اليد ،

ولا شرف يترك كبير أثر ،

ليس له غير راحة واحدة ، وكل ظفر

سينكسر فى الوحدة الشبحية

* بعض الحوادث التى ترد فى هذه الأبيات سجلتها « ليدى جريجورى فى يومياتها الصحفية التى حررها لينوكس - وينسون

ومن أجل صورة واضحة لذلك الزمن ، والأعمال السيئة التى ارتكبتها الطرفان ، ودونما مبالغات ، يمكن للقارئ أن يستعين بكتاب The Black and Tan لريتشارد بينيت Richard Bennet .

ما انكسرت فلسفته أمام هذه التجربة ، ولم يراوغ ولم يكتنم شعوره بالخسارة ، بل أعطته التجربة نوعا من الثباب الراسخ :

فهل من راحة بعد ؟

الانسان عاشق ، ويعشق مايتلاشى

فأى شئ بعد نقول ؟

ما لا يتصور ، ذلك هو ماحدث لبابل ولصر ولأثينا ، وذلك هو نفسه يحدث لنا الآن ، ولا سلوان ، ولكن ثمة حقيقة باهتة ، تلك هى أن الروح الانسانى هى الباقية .

القسم الذى يلى هذا يقدم السنة الأفلاطونية :

حين كشف راقصو لوى فولر الصينيون

عن رحم مشع ودورى من قماش يطفو

وبدا أن تنين من الهواء

قد يهوى بين الراقصين

فيلفهم جميعا

ويفرّ بهم فى طريق هياجه .

الرمز بارع . فالتنين هو المسيطر على الرجال ، وهم الذين ابتدعوه . مع ذلك ، ومرة أخرى ، نراهم رجالا غير متحررى الخطأ ، لكنهم راقصون . لذلك نجد التنين هو الذى يجدد الإيقاع الذى تستجيب له خطاهم .

وكأن الشاعر قد تراجع إلى بعد شاسع إلى حيث ألغيت الأشياء الخاصة واتخذ الزمان شكلا وصار شكل الخلق واضحا . أن له (التنين) قوة الفصل المفاجئ والحاسم مثل الموت ، يعزل الروح عن إبداعاتها ويرمى بها فى عزلتها الخاصة - قفزة البجعة فى السماء المقفرة .

ثمة أفلاطونى يؤكد أن فى المحطة

حيث يطرح الجسد والتجارة

تبرز العادة القديمة
فإن كان لأعمالنا
أن تتلاشى مع أنفاسنا
فذلك موت محظوظ
فلن يفعل الظفر
غير إفساد عزلتنا
وفجأة يتحول الوعي بالعزلة إلى إثارة شديدة ، تلوح فى برق أنى ، ذلك هو نفسه
نبض الدمار .

وثبت البجعة فى السماء القاحلة
تلك صورة تأتى بالهياج ، تأتى بالغضب
لينهى كل الأشياء ؟
يمكن أن تكتسب هذه الأبيات إضاءة إذا ما نظرنا إلى ميرو Mero بعد ست
عشرة سنة ،

هذيان كثير
يلم الحضارة كلها
يضعها تحت قانون ، تحت مظهر للسلام ،
لكن حياة الإنسان فكره
وهو بالرغم من الرعب ، لا يكف عن التجوال
عبر القرون .
تجوال وغضب واستئصال جذور
لكيما يصل إلى واقع مقفر .

وفى ١٩١٩ راح يعيد تلك العزلة الشاسعة ويؤكدها ، وفى القسمين التاليين يعود ليحذق بسخرية فى إخفاق الحياة الإنسانية :

نحن الذين قبل سبع سنين

تحدثنا عن الشرف والحقيقة

نصرح الآن مبتهجين أن أظهرنا

التفاته ابن عرس ، ضرس ابن عرس

القسم الأخير دوامة من صور عنيفة ، الجمال فيها يضيع فى الهياج ، بينما الأزمنة تسوء ، وتنتهى ، كأنه يجمع كل تأمله ويتجه به نحو أيرلندة .

« روح شريرة تجرى وراءها ، تلاحقها

أكثر فأكثر فى كلكنى ، بداية القرن الرابع عشر . »

ومرّ من هناك ليرجس عيناه الواسعتان بلا فكرة

تحت ظلال خصل الحمقى المصغرة بلون القش

وذلك الشيطان الوقح روبرت ارتيسون

الذى أتت له المغرمة ، السيدة كيتلر

بريشات من طاووس برونزى

وأعراف حمر من ديكتهها .

إن هذا هو القطب المضاد لـ ت . س اليوت :

هذا هو الطريق الذى ينتهى فيه العالم

لابمرض بانغ ولكن بنشيج* .

* بانغ : مرض يصيب الأبقار ... المترجم .

لكن هذا البناء القوي قريب إلى اليأس والخسارة وفقدان التوازن ، ويشبه نهاية
أى قصيدة كتبها بيتس . وإذا اعتبرناها تأملا مستمرا ، تبدو أقسامها الستة غير مترابطة .
فالأول مكتمل بذاته ، يكشف تضادا مرعبا دونما استهانة بأى من الضدين .

الانسان عاشق ويعشق مايتلاشى

فأى شىء بعد تقول ؟

لكن الانسان لايمكنه الاستقرار فى التناقض ، وفى محاولة لحله يتبع خطر فهم ،
فهم القلب وفهم العقل فيجد أنهما يتباعدان أكثر . هو مثل عاشق متحير يسخط على
العالم ، ويعلن التبتل : وهو فى لحظة يبتهج بحريته وفى أخرى يستشيط غضبا من
فشله . وفى الحالين هناك الشجاعة المساوية « ، شجاعة رفض الترضية الزائفة .
شعره يقول ماقد أعلنه من أن الحضارة كفاح من أجل التوازن ، ويجب أن تكون
العاطفة قوية لكى تواجه الملاك وهذه أول جولة فى ذلك الصراع .

الوعى السياسى للزمن الذى كتبت فيه « ألف وتسعمائة وتسعة عشر » جعل
القصيدة تستقبل بقليل من الفهم فى أيرلندا وفى انجلترا . فقد نشرت القصيدة فى
البلدين سنة ١٩٢١ فى الصحف الأدبية ، ثم ظهرت بعد ذلك فى كتابه « البرج » سنة
١٩٢٨ بإضافة تأمليتين أخريين إليها . كانت مؤرخة ، لكن فى غير تسلسلها الزمنى
فأنت تقرأ عن تلك العزلة التى هيأها « البرج » سنة ١٩٢٦ ، وخلال « تأملات فى زمن
الحرب الأهلية » ١٩٢٣ ...

و « تأملات » قصيدة مجمعة أكثر من سابقتها . تتناول تلك الثيمة نفسها ، بيوت الأجداد
المخرية ، وأن دمار هذا الزمان ليس رعبا وشيكا مهددا ، بل حقيقة واقعة . القسم الأول
أس بنيل وهو الأقل تمردا . الميلاد ، الثروة ، التقليد : أساس حبه لهذه (الثلاثة) .
هو عبادته للحرية ولقوة الأبداع فى الحياة ، تلك التى تتدفق فيها مثل نبع ينهج ذاتها .

فكر بالدور التى « كأن » أسسها رؤساء ما أستأذنوا أحدا ، بذلوا من أجلها حياة
وثروة كما شاءوا ، ولأن الروح هناك ، فى موطنها ، فإن شعراء الزمن القديم وجدوا
هنالك كلا الأفكار والمأوى . مع ذلك ، فما الذى هم عليه الآن ؟

أحلام ، ليس غير أحلام ، فلم ينشد هو

لم يجد أكيدا وراء الأحلام

إن بهجة النفس فى الحياة قد فجرت
الينبوع المتلامع الزاخر
وإن بدا الآن كأن صدفة بحر كبيرة فارغة أنفلقت
طالعة من غموض الجداول الدافقة
وليس ينبوعا ، لقد كانت الرمز
الذى يظلل مجد الأغنياء .

الصورة نفسها ، وموضوع الأبيات التى تليها ، هما استسلام على مضض
للمصير . فهو يقر بأن هناك تلقا من الداخل ، حلاوة وجمال البناء الأرسقراطى ، أنام
الطاقة الفوارة التى أبدعته وأبقتة .

آه ، ماذا لو أن الممرات الناعمة والدروب الهجينة ،
حيث يجد المتأمل المسترسل راحته
والطفولة بهجة حواسها ،
أخذت عظمتنا مع عنفنا
مقابل ذلك يضع شخوص « ثور باليلى » ، رمزا للحياة التى أختارها :
أكر واحد من أرض حصيبة
حيث الوردة الرمز تنفتح زهره

.....
سلم لولبى وحجرة ذات قوس حجرى
مجمرة من حجر رمادى موقدها مفتوح
وشمعة وصفحة مكتوبة

وأفلاطوني انكب على « البهجة » *

فى شبه الحجرة

يتبين كيف تمكن الدايمون ** الغاضب من كل شئ

هنا ، أو فى مكان آخر ، تظل روحه موئل غضب شديد ، وفى هذا المكان سيرث أطفاله قوة عقله ، وإذا لم يعن البرج ذلك ، فليكن مكانا تعشش فيه البوم . ومن هذا « الحصن » كان ينظر إلى الخارج شبه متجرد ويرى الحرب الأهلية بعضا من ذلك المجرى .

أطعمنا القلب بالخيالات

فتوحش القلب من الترحال

فى عداواتنا مكنون أكثر

مما فى محباتنا

هى حالة دمار واضحة . لكن الحالة الواضحة هذه لاتشمل كل مايراه : ففى القسم الأخير من القصيدة نجد بعض الرؤى التى ملأت قصائده الأولى ، وحتى موسيقى النظم تذكرنا بتلك التى كانت فى قصائده قبل عشرين سنة . هو ينظر من البرج إلى سرابات ، تتشكل وتنحل فى ضباب تثيره الرياح وتمضى متدحرجة تحت هلال يشبه السيف ، « سرابات وكراهة وامتلاء القلب وفراغة القادم ، » إنها صور الأوجه المتغيرة لحياة العالم . وأخيرا تظهر بينها رؤيا الصقور النحاسية :

لاشئ إلا نشب مخلب ، ورضا عين

وخفق أجنحة لا عد لها أطفأت ضوء القمر .

روح عصر جديد لايهتم إلا باستكمال قوة منظمة لاترحم .

* البهجة قصيدة للتون ... المترجم .

** الدايمون : نصف إله فى الميثولوجيا اليونانية يمتاز بالقوة والبراعة فى الأصل دايمنى ، نسبة إلى

الدايمون ... المترجم .

« ألف وتسعمائة وتسعة عشر » انتهت بمثل ذلك التلاشى للرؤى ، بتفكك أوسع ،
والكلمات الأخيرة هنا تصور حالة شخص استطاع إبعاد نفسه ، محزوناً ، عما يرى :

أدرت وجهي وأغلقت الباب ، وعلى السلم
تساءلت كم مرة أثبت جدارتي بشئ
كل الآخرين يفهمونه أو يشاركونني فيه ،
لكن آه أيها القلب الطموح ، ليكن
فمثل ذلك الأثبات استقدم جمعا من الأصدقاء وأراح ضميراً ،
لكنه هو الذى زادنا ضنى . الفرح الخيالى
والحكمة نصف المقروءة للصور الدائيمونية (البارعة)
أرضنا الرجل المعمر ، كما أرضنا يوماً الصبى النامى

الحقيقة والرمز ، العالم والروح ، التاريخ والأبدية منسوجة معا فى هذه القصيدة .
لقد وجد منطلقاً للتوفيق بينها فى « العزلة الشبكية » التى أبهجت وأرعبت فى القصيدة
الأولى وهى الآن حالة من الحياة مقبولة .

نلاحظ انتقالاً طبيعياً من هذه القصيدة إلى تأملية المستوح ، « البرج » ١٩٢٦ .
فالبرج نفسه الآن محور خياله أكثر مما كان فى السابق ، والطبيعة المحيطة به هادئة
الآن (فقد انتهت الحرب) وحيّة بالمزيد مما تدخره من الماضى القديم . العالم ،
بمعنى الأحداث التى تكون التاريخ ، قد انسحب إلى خلفية (القصيدة) ، ونقاشه الآن
يجرى بين الروح المتأمل والقلب العاطفى الذى يعيش التجربة . الروح هى التى تكسب
الجولة ، لكن نظرياً حسب ، لأن مجموع القصيدة مزدحم بتجربة فعلية وخيالية :

الآن سأحكم روحى
أخضعها للدرس فى مدرسة تعليمية
حتى أرى الجسد المحطم
يتلف دمه ببطء
وحتى الهديان الكليل والشيخوخة الهالكة
أو أى شر أسوأ يأتى -
موت أصدقاء ، أو موت عين لماعة

تبهر النفس -
فليس غير غيوم السماء
ساعة يتلاشى الأفق
أو صيحة الطائر الناعسة
في أغوار الظلال * .

هذا لايعنى أن يبتس انسحب من العالم أو من الحياة العامة ، فشعره معركة مستمرة
صاخبة بين الروح فى زمنها والروح فى الأبدية . وهو فى الوقت الذى كتب فيه هذه القصائد
الثلاث الأخيرة ، كان عضواً حى الضمير فى مجلس الشيوخ فى الحكومة الجديدة لأيرلندة
الحررة . وإلى نهاية حياته ، كان معنيا ، متوقدا ، فى السياسة الأيرلندية . قراءة
القصائد الثلاث كشف عن حركة دائبة تمتد من « عصيان » ألف وتسعمائة
وتسعة عشر إلى الانفصال بعد سبع سنين ، وحتى هذا لم يكن غير مكترب به . ففى
الطريق ، فى ١٩٢١ ، كتب قصيدته المدهشة « المجرى الثانى The Second Coming
الذى وضعت عصره فى منظور الأبدية . العالم هو ماينتهى فى الأبيات الثمانية الأولى .
فهناك ماتزال تلوح فى عقله بيوت الريف الأيرلندى المشتعلة ، وإذا كان وصفه « أقل
محلية » ، فهو ليس أقل دقة لفظية كما فى « ألف وتسعمائة وتسعة عشر » .

طغى الدم القاتم ، وفى كل مكان
غاض احتفال البراءة
الأفاضل يفتقدون الإيمان الراسخ
والأراذل مفعمون بهياج العواطف ،

ليس هذا وصفاً لمشهد قدر ما هو حكم مؤرخ عليه . ففكرة « يوم القيامة » -
« المجرى الثانى - تأتى طبيعية من هذا الوصف ، وفجأة تشرق ** هناك رؤيا كبيرة
من Spiritual Mundi تحمل فى داخلها فلسفة كاملة للتاريخ . لذا ، كانت لها قوة

* نميل إلى ترجمتها « فى أغوار الظلال » ، لكن ترجمتها الحرفية هى : بين الظلال الغائره ... المترجم .
** الحكماء الثلاثة : ثلاثة منوك من الشرق جاؤا للطفل ساقبيور بهدايا . يطلق عليهم ملكير وحاسبار
وبالنازار . الأول قدم ذهباً رمزا للإخلاص والثانى بخورا رمزا للأبدية والثالث مرا رمزا للموت .
أساطير القرون الوسطى تسميهم الملوك الثلاثة من كولون والكاتدرائية هناك تطالب بـ رفاتهم .

النبوءة . فالصورة ذاتها غريبة ودليل شؤم . صورة تغور فى عقل القارئ . وإذا حدق فيها طويلا يبدأ المعنى الآخر بالظهور دونما عون من « الحمامة أو البجعة » .

والآن انهيار حضارتنا ذات الألفى سنة - هكذا يجرى النقاش المضمّر - فما الذى يتكون من خرائبها ؟ ماكانت المسيحية بالنسبة للعالم الرومانى - الإغريقى Graeco Roman الذى حلّت فيه ؟ (قد يتذكر المرء أن تاسيتوس * لم يخرج منها بشئ) . فى مسعى محير أكثر مما هو عدوانى استنتج أن المسيحيين كانوا أعداء للجنس البشرى . لقد دحرت المسيحية أخيرا بعلامة الصليب . شعار المجرم المدان ، الذى يرمز لكل شئ رفضه الذوق العام خلال ألقى سنة . أو مرة أخرى مالى تخلصه العنقاء التى بقيت من عصر يسبق تلكم الألفى سنة ؟ وبالنسبة لنظرتها الفارغة هى ، لانظرة المسيح ولا نظرة أبولو ، هل يبدو روتردام والأكروبولس زائفين على السواء وطائشين فيما يقصدان ؟ لا نظام قيم يمكن أن يشتمل على كامل الحقيقة ، ودائما يظل شئ خارج حدود ذلك النظام ، يجمع القوة فى رحم الزمان حتى تحين ساعة يفرض فيها وجوده ، ولهذا لاتظهر الحضارة الجديدة كحصيلة من الحضارة الأولى ، ولكن دائما كمصير لها . الشئ الوحيد الذى نعرفه عنها معرفة أكيدة . أنها ستظهر وحشية ومخيفة بالنسبة لأولئك الذين سوف تحل محل تقاليدهم . هذا شرح مسهب لوضع ماسوف يحل فى الحياة ضمن صورة (شعرية) . فما يولد لايحدر من الإغريقية أو المسيحية ولكنه يأتى من بدائية أكثر ترعاها هاتان الاثنتان . تلك بعيدة عن فهمنا بعد البوذية عن فهم ناس العالم القديم :

لكنى الآن أعرف

أن عشرين قرنا من النوم الحجرى

أغاضها اضطراب المهدي فاستحالت كابوسا

فأى وحش خشن ، حلت ساعته أخيرا

يتسكع باتجاه « بيت لحم » ليولد هناك ؟

إن قصيدة « المجدى الثانى » ، بروياها بحلول المسيحية ، قد حضرت فى ذهن بيتس قبل سبع سنوات من هذا التاريخ . ففى قصيدة قصيرة من « مسئوليات » يرى أن الـ Magi (الحكماء) مايزالون ينفذون من السماء .

* تاسيتوس كورنيلوس : مؤرخ رومانى أرخ للفترة من موت أغسطس إلى سنة ٦٩ وأهم كتبه « جرمانيا » .

بكل أوجههم القديمة التى تشبه
حجارا مطورة ، ...
وهم الذين ما اقنعتمهم فوضى الخيالة * ،
يأملون أن يجدوا
غموضا طاغيا ** يلف الأرض الهمجية

تعود الفكرة إلى الموضوع يصلها بـ « ليدا » ومسرحيتى « خيالة » و « الب
وبعض قصائد العشر سنوات الأخيرة الفائقة . لكن متابعتها أكثر تبعدن
موضوع هذا الفصل . أريد حسب أن أستخلص كيف أن ضغط الأحداث ، باعتد
ثمرة بحث طويل وخزين المجازات المتدفقة التى حملتها له « رؤيا » قد عجلا بت
شعره إلى ما يشبه النبوءة .

السيد ت.س. اليوت ، هو الآخر صور بقصيدتين مولد المسيحية مريكا لقيم ا
القديم : هو مثل بيتس يراها ميلادا وموتا . و « سيميون » فى « المعبد » ي
الاستشهاد الطويل للكنيسة فيصلى لكى يجى الموت بعاطفة أقل بساطة من تلك التى فى الأند

« أيها الرب دع عبدك الآن يرتحل بسلام »
فاليوت يقول :

تعبت من حياتى وحياة الذين بعدى ،
أنا أموت فى موتى وموت الذين بعدى ،
دع عبدك يرتحل
وقد حظى بخلصك

الشيوخ فى قصيدته « رحلة الملاجى » أو رحلة الحكماء الذين يريدون معرفة
أمقتادون طول هذا الطريق
إلى الميلاد أم الموت ؟ هنالك ميلاد أكيد ،

* عمدنا إلى كلمة « الخيالة » لا « الفرسان » .
** فى الأصل : uncontrollable mystery ... المترجم .

ذلك جلى لنا ، وليس من شك (فيه)
رأيت ميلادا وموتا .
ظننتهما مختلفين ، لكن هذا الميلاد
كان صعبا ومريرا محزنا لنا ،
مثل الموت ، موتنا .

ويظهرون عائدین إلى منازلهم لاسلام فى عقولهم ولا يزيدون قناعة على اقتناع
« ماجى » بيتس بفوضى الخيالة وقد خسروا هدؤهم فى العالم القديم ، « مع ناس
غرباء يتمسكون بألهتهم . »

بيتس واليوت ، إضافة إلى بروزهما بين شعراء قرننا ، يشتركان أفقيا بأمر
معينة . فكلاهما مطلع بدقة على الانسان فى التاريخ والروح فى الأبدية ،
وكلاهما أحيانا يرى عالما غير ملائم ، متفككاً وغير معروف المستقبل من ذلك الظلام
المحيط بهم :

ماهى الجذور المتشعبة ، ما الغصون الطالعة
من هذه القمامة الحجرية ؟ يا ابن الانسان
أنت لاتعرف ولاتقول ، فما تعرفه حسب
كوم صور محطمة

كلاهما يستنجدان بالأبدية ليوازننا بها الزمان حتى صورهما تقوم بذلك . فقول
اليوت « المركز الساكن لدوران العالم » ودوائر بيتس المتحركة حول قطب لا زمنى ،
تعبيران عن علاقتين متشابهتين للزمن بالأبدية .

مع ذلك ، كم هو الاختلاف (بينهما) عقلا ن عالمان متباعدان ، ينظران إلى مشهد
واحد . السيد اليوت فى دائرة الكشف المسيحية ، يرى (المشهد) شاملا ومطلقا :
التاريخ لايتقدم إلى أى شئ آخر غير المسيح . هنالك عالم واحد ، قيمة هى قيم الموت ،
وإيمان واحد هو برفض العالم والاستسلام إلى الحياة الأبدية ، هم مستسلم دائما لى

يُصنَع وهو الرد الوحيد على متاعب الروح أو متاعب التاريخ . عجلة (اليوت) تدور حول القيم المسيحية الناتجة من إدانة الخطيئة ، ومن التواضع ونبذ الذات * . قد لا يفكر غالب المتكلمين بالإنجليزية اليوم طويلا ويعمق في الخلاص ، لكن إن كان هناك عالم آخر ، فسيقرون بأن الطريق الذي يوصلهم إليه ، إنما هو طريق الصليب .

السيد إليوت يتحدث باللغة التي يعرفون ، وهذا ما جعل قوة تأثيره في جيله غير مماثلة لعظمته شاعرا وإن كان الفصل بين الاثنين صعبا .

في نظام بيتس « فوق الطبيعي »* ، كما هو الحال عند الشيطان ، ليس من مستسلم . الروح التي هي واحدة وعدة ، مصدر ومركز كل الأشياء ، حياتها في حياة العالم الذي تخلقه وتحركه إلى الأبد ، أن تعيش في الأبدية يعني أن تترك النفس في الجزء المخصص لها وتهدأ كيما تظل واعيا بأن المسرحية مستمرة والممثلون يستمرون بعد زوال المشاهد . والحضارة المسيحية ، تراجيدا الألفى سنة ، مثل حضارات أخرى سلفت وأخرى ستأتي ، هي تعبير حقيقي ولكن تعبير مجتزأ عن الروح الأبدية . وهو يتأمل عالما مدمرا لا يفهم منه أن يهجر الحياة والعاطفة ، لكنه يبعدها عن الزمن ، معلنا أنهما ينتميان إلى الأبدية ، وسوف يعاد بناؤهما مرة أخرى ويظهران بأشكال جديدة . هذا هو جوابه على الكارثة ، لا يشبه جواب الأرتونكسية ، هو يجعل الأبدية تبدو مكانا غير مألوف ، ولأنها غير مألوفة فالقراء الذين يفهمون معنى بيتس غالبا ما يتساءلون إن كل هو فعلا يعني ذلك ، بينما هم لا يشككون بمسيحية السيد إليوت ، سواء شاركوه بها أو لم يشاركوه . ومع أن المرء لا يحتاج إلى أن يشارك الشاعر بأفكاره كي يتمتع بشعره ، لكن المتعة لاتصفو إذا كان الشاعر متهما بالتصنع ، مهما كان بيتس غير أرتونكسي ، فليس هناك تصنع ، بل يحس وراء رمزيته بإيمان عميق واصل الشاعر التفكير به حتى التحم بتجربته في الحياة .

أ.ج. ستوك A.G.Stock

* لم نستخدم نكران الذات مقابل renunciation لكي لا يختلط المعنى ويفهم منها الايثار ، وليس هذا طبعا المقصود في الكلمة ... المترجم .

** حين كتبت هذا ، لم أكن قرأت بعد كتاب : « وب. بيتس والتقليد » لـ R.A.C.Witton فاتعلم المزيد في هذا الحقل ، مما كشفه نقاد بيتس . وقد اتضح لي الآن لا التماسك الحقيقي لأفكاره حسب ، ولكن اتضح لي أيضا أصول هذا التفكير العريقة والمشرقة ... الكاتب .

البرج

(١٩١٧ - ١٩٢٨)

« وأنا الذى أحسب نفسى موفقا
أرى الحب والصدقة كافيين ،
لأن صداقة جار عجوز ، اختار دارا
وعمرها وغير فيها حبا لفتاة ،
ليس يدري أن تلك الصخور ،
أزهرت أو ذوت ،
ستبقى تحفهم كما هى تحفتى . »

و . ب . بيتس

« نحن الآن عند برجنا وأنا أكتب شعرا كما أفعل دائما هنا ، وكما يحدث دائما ،
لايهم كيف أبدا ، فما أكتبه يصير شعر حب قبل أن أنتهى منه . »

و . ب . بيتس

حين كتب بيتس بوضوح أن الحياة كلها تبدو تهيؤا لشيء لن يحدث أبدا ،
ما خطر له أن وراء تهيؤ حياته ، وفى العشرينات منها ، مكافأة مجزية تنتظره ،
فنشاطاته المبكرة فى السياسة الثورية ، وبخاصة عضويته فى مجلس الشيوخ فى
حكومة أيرلندا الحرة ، وانشغاله المبكر بالصوفية واللاهوت والسحر ، أمور هيأته
للكتابة « رؤيا » A vision . معاودته الجديدة لقناعاته القديمة كانت إيجابية ، وجاءت
فى عمر ينتظر منه فيه الوضوح ليقتل حماسه لنظريته فى أوجه الحياة ، تلك النظرية
التي لم يجد فيها ما ابتغاه لكنها أمدته بموضوعات بذل طاقته وقدراته لخدمتها ،
فاوصلته إلى اهتمامات جديدة . السياسة أيقظت فيه اعتزازه فى الأنجلو أيرلنديين ،
فى تاريخهم وشخصياتهم ، أما رؤيا فقادته إلى التاريخ والفلسفة .

شعره أيضا توسعت دائرته . فقد تحقق ازدهار جديد في « التم البرى فى كول » أو « البجعات انبرية فى كول » * ، ومايكل روبرتس والراقصة « ، لكن الازدهار جاء فى « البرج » . « البرج » قدم بيتس فى جميع حالاته وتأرجحاته . أنه الخلفية الكاملة والفريدة لكل أوجه شخصيته واهتماماته . الاهتمامات العامة فى حياته منحتة مباشرة كان غالبا يفتقدها ، كما منحتة الموروثات العامة والموروثات الأدبية حسا بالمشاركة فى الموروثات العامة التى ازدهاراها من قبل . ورغم الكثير من التناقضات حاول أن يطعم التجربة الجديدة للدولة الحرة بفضائل أصله القديمة . كما أن خبرته فى مسرح الـ أبى Abby منحتة توترا فى التعبير مضافا إلى عناصر الدرامية فى شخصيته . ودراسته للأدب الأنجلو أيرلندى فى القرن الثامن عشر منحتة بلاغة وجلالا .

شعر مرحلة البرج شعر غنى بسبب من امتلاء حياة بيتس ، ولأن أسلوبه عادة يصل درجة النضج وقت نضج اهتماماته : فى السياسة وفى الفلسفة والصدائة والحب . قصائد البرج كلها عمل شخصية جماهيرية ووجه جماهيرى يكتب للجمهور . هو يكتب مايريه ، سياسة أو فلسفة . أما باقى الموضوعات ، والحب بخاصة ، فينظر إليها كما تؤثر فى حياته وخياله هو ، لا كما هى بالنسبة لعموم الناس . مع ذلك فقد جاء ليشارك الآن فى تجارب عامة اعتيادية لكل الناس كالمسئولية العائلية والأبوة . كما كانت له تجربة مسئولية سلطة وهى مسئولية كانت اعتيادية لكثير من الشخصيات فى الأدب الانجليزى : تشوسر ، ملتون ، درايدن ، وسويفت . على كل حال ، العنصر الشخصى بين دائما عند بيتس . ومن ذلك تقديره لطرق إبداع القصائد . كتب فى ١٩٢٣ ، فى بونتى سويدان يوضح هذا الموضوع :

« بين حين وآخر ، حين يثير شئ خيالى ، أبدأ بالحديث مع نفسى . أتكلم فى داخلى وأصعد نفسى دراميا إذا ما رأيت عجوزا مجنونة تعمل على أرصفة دبلن ، مثلا ، وأحيانا أملى على نفسى كلام وحركة عجوز ذى خطأ مضطربة . على نفسى كالمناسبات ، أعيد كتابة ماقلته شعرا ربما أفضل سبب لهذا هو انقطاعى عن كتابة الشعر زما طويلا . لا أفكر وأنا أحدث نفسى أنى أملك مزايا أدبية مختلفة . إنما هم يثيرون اهتمامى إذ يوفقون بينى وبين رجال تخيلت أن أكونهم . تثيرنى دقة وصفهم لظرف عاطفى أكثر من دقتهم فى عرض أى قيمة جمالية . حين أبدأ الكتابة ، لا أملك

* عمدنا إلى الترجمتين . فنحن إذ نفضل البجعات البرية ... ونحسن تشير إلى الديوان ، نفضل التم البرى فى كول » ونحن نشير إلى قصيدة « ليدا والت » بدلا من ذكر البجع فى القصيدة المذكورة ... المترجم .

موضوعا غير أن أجد كلاما طبيعيا ، إيقاعا وتركيبا ، لأضعه فى صيغة Pattern ، لذا يبدو قديما وكلاما عاما لجميع الناس ، مع أن الجهد المبذول فيه كثير جدا . يجعلنى ذلك أظهر دونما مقدرة متفردة وأنى بلا موهبة خاصة . أطبع القصيدة على الآلة الكاتبة ولا أسمع عنها بعد شيئا حتى أرى الكتاب بعد سنوات ، وفيه صفحة مطوية طواها شاب ، أو أشرتها فتاة بينفسجة ، وحين أرى ذلك ، أشعر بالخجل وكأن أحدا يبوح لى بعاطفة لطيفة أحتاج إليها ...

ما جاء سهلا فى بدايته ، ماتم وسط كثير من الدراما وكتب أخيرا بعناء لا يمكن اعتباره بين ممتلكاتى .

قصة البرج جزء من حياة بيتس ، وهى تكشف المزايا الحية الجديدة لعقله ونظرتة التى لم تكتف بتحقيق الطموح القديم وحده . فى الطبعة الثانية من « الأصيل الكلتى » The Celtic Twilight ، كتب بيتس مقالة بعنوان « التراب أغلق عينى هيلين » وصف فيه بالليلى : مجموعة صغيرة من بيوت جوار كول ، اكتسبت شهرة فى غرب أيرلندة لأن « رافترى » الشاعر الغالى الأعمى أبدع أغنية من جمال الفلاحة ميري هاينس Mary Hynes التى كانت تسكن هناك . سمع بيتس هذه الأغنية لأول مرة من امرأة عجوز كانت تتذكر كلا من رافترى الذى عمى أخيرا ، وميري هاينس ، وقد استشهد بترجمة ليدى جريجورى لتلك الأغنية :

كم قيمة العظمة حين تحين رؤيتك
لجمال زهرات الغصن إلى جانبك ؟
لا إله ينكره أو يحاول إخفاءه ،
هى الشمس فى السموات وهى التى جرحت قلبى .
لامكان فى أيرلندة لم أصل إليه
من أنهارها حتى قمم الجبال
وإلى حافة « لف جراين » الذى خفى مصبه ،
مارأيت جمالا إلا وكان دون جمالها ،

وجهها يشع ، وحاجباها يشعان أيضا ،
وجهها مثل نفسها وثغرها مبهج وعذب ،
هى الكبرياء وقد أعطيت غصنا
هى وردة بالليلى الوهاجة .
حائك عجوز أخبر بيتس :

« ميرى هاينس أجمل شئ خلق الله على الإطلاق .
اعتادت أمى أن تحدثنى عنها ، فهى عند كل
حشد ، وحيثما كانت ، نراها فى ثياب بيض
حوالى أحد عشر رجلا طلبوا الزواج فيها
فى يوم واحد ، وما ارتضت منهم أحدا .
فى إحدى الليالى ، كان رجال يشربون فى مكان
وراء « كلبكانتى » ، فجأة نهض واحد منهم
وانطلق إلى بالليلى ليراها ، لكن « كلون بوج »
كان مفتوحا أمامه ، وحينما جاء إليه
سقط فى الماء ، ووجدوه هناك فى الصباح .
فطنة بيتس التقطت التشابهات بين ميرى ومود ،
فكرة شاعر وسيدة انتقلت إليه أخيرا
وتحولت إلى تجربة خاصة ، هى تجربته .

« رأيت الكثير من العالم » ، ولكن هؤلاء الشيوخ والعجائز حين يتحدثون عنها ،
يلومون الآخر ولا يلومونها ، قد يكونون بهذا قساة لكنهم يكشفون عن تهذيب مثل
شيوخ طروادة الذين كانوا يزدادون تهذيبا ، إذا مرت هيلين على الأسوار .

ردد هذه الفكرة فى قصيدة كتبت فى كول فى كانون الأول ١٩١٣ « وحيث عاشت هيلين » .

كنا نمشى

داخل هذه الأبراج فاقدة القمم
حين جاءت هيلين مع والدها ،
تهب بقية رجال ونساء طروادة
كلمة لطف أو مزحة وهى تمر .

الروح ممرورة هنا ، واستخدام الكلمة العامية « boy » ولد ، يؤكد النغمة السائدة فى القصيدة ، بعدها تعاقبت القصائد الأكثر نبلا ، التى كتبها عن مود فى ١٩١٥ ، حتى إذ وصلنا ١٩٢٦ نجد وراء شعره عنها ذكريات مستقرة لكنها ذكريات أقل أيلاما وإحباطا . الفكرتان هنا مضافورتان معا ، ذكريات قصة ميرى هاينس ومود جون التى يراها مثل هيلين :

حين كنت شابا ، كان القليل يتذكرون
فتاة فلاحه ترد فى أغنية
تمجد الأغنية لون وجهها
وتطفح بفرح امتداحها ،
أتذكر أنها حين كانت تمشى هناك
يحتشد الفلاحون حول ذلك الجمال ،
وتُشيد الأغنية بمجد لها كبير
وكان رجال قد جنوا بقوافيها
فراحوا يشربون نخيها
ثم نهضوا من مائدتهم وأعلنوا

أن الصواب أن يقارنوا بين مافى الخيال
وماترى العيون ،
لكنهم أضاعوا إشراق القمر
أمام فسيفساء ضوء النهار -
لقد ذهبت الموسيقى بفطنهم
وهوى واحد فى مستنقع « كلون » الكبير
كان غريبا أن يكون صانع الأغنية أعمى ،
لكنى الآن أقدر الحكاية
ولا أجد غرابة فيها . فالمأساة بدأت
بهوميروس الذى كان أعمى ،
وهيلين التى أثارت كل القلوب الحية .
لا تتوقف رومانسية بالليلى على قصة ميرى هاينس ، فقد كانت هناك :
قلعة قديمة مربعة الشكل ، هى بالليلى ،
يعيش فيها فلاح وزوجته ، وكوخ تسكن
فيه ابنتهم وزوجها ، وطاحونة صغيرة
وطحان عجوز ، وشجرة مران قديمة
تلقى ظللا خضرا على نهر صغير
وصخور كبيرة للعبور
كان بيتس دائما يمشى من كول ليزود المكان الذى فيه
« عاش الجمال حياته المحزنة »

وبتشجيع من روبرت ابن ليدى جريجورى ، بدأ يفكر ، قبل سنوات من زواجه ، بالحصول على القلعة ليتخذها سكنا . / أحلام النهار هذه لوحظت أولا فى قصيدتين كتبنا فى ١٩١٥ هما Ego Dominus ، حيث قدم البرج أساسا لمناقشة نظريات بيتس فى موضوع ضد النفس ووجه القمر . هذا الأساس أو المنطلق اختيار لقيمتة الرمزية . لقد وجد بيتس فى شيلى وفى الكونت ميلير دى ايسل آدم Caunt Villierse de l'Isle Adam أبراجا اتخذت رموزا لنشدان الحكمة ، الحكمة التى يبحث عنها دارس متوحد فى عزلته . هؤلاء الأشخاص المتوحدون كانوا منطويين على أنفسهم ، ورأوا أنهم يمكن أن يجدوا الحكمة عن طريق تفحص أفكارهم وردود أفعالهم الشخصية بإزاء مايقراءون . من هؤلاء بيتس نفسه الذى يحصر التفكير فى نفسه (وإن لم يكن أنانيا) وهنا نجد تفسيراً لجاذبية أبطال شيلى الذين حاول بيتس أن يتبنى شخصياتهم فى شبابه . فى ١٨٩٧ كتب :

« فى الأزمنة الحديثة نحن متفقون على أننا « نوجد أرواحنا » من أحد الشعراء العظام فى الأزمنة القديمة ، أو من شيلى . »

وحوالى ١٩٠٠ كان بيتس يتفحص رمزية شيلى وأبراج شيلى وكهوفه :

أعتقد كان فى عقل شيلى أكثر من مشهد رومانسى حين جعل الأمير أثناسي يتابع دراساته الغامضة فى برج مضاء فوق البحر ، وحين جعل الناسك العجوز يطل على لاؤن Laon وهو عليل نصف هالك ، حيث البحر دونما شك يراود سبتنا الفكر الواحد ، ويلقى « رمالاً لماعة » و « أندرا أصداف البحر » . البرج وهو مهم بالنسبة لمتراكنك كما لشيلى ، هو مثل البحر والأنهار والكهوف ذات الينابيع ، قديم جدا ، وسنرى ازدياد أهميته فى شعره بمرور السنين ، الاختلاف بينه وبين الكهف فى لاؤن وسيثنا يشير إلى التناقض بين العقل متطلعا إلى الخارج ، بما فيه من رجال وأشياء ، والعقل ناظرا إلى الداخل ، إلى نفسه ... وهو ماقد يكون ، أولا يكون فى عقل شيلى . لكنه بالتأكيد يساعد ، مع العديد من المعانى المعتمة الأخرى على منح القصيدة غموضا وظلا . إنه بالرموز القديمة حسب ، يرموز لها معان لاتحصى ، إضافة إلى رمز أو اثنين يؤكد عليهما الكاتب ، وحتى بنصف مايعرف عن هذه الرموز ، يمكن لفن عالى الموضوعية أن ينجو من جذب أو ضحالة التسويات القلقة ويتجه إلى غزارة وعمق الطبيعة .

كما أنه رأى البرج رمزا لمتابعة الحكمة بعقل ينظر إلى داخل نفسه :

ذلك الظل هو البرج

والضوء دليل أنه ما يزال يقرأ ،

لقد وجد صورا اختارت المكان سكنا

ربما السبب ضوء الشمعة فى البرج

البعيد ، حيث أفلاطونى ميلتون

يجلس متأخرا ، هو أو أمير رؤيا شيلى :

ذلك هو الضوء الوحيد الذى أمسك به صاموئيل بالمر،

إنه صورة حكمة غامضة اكتسبت بكدح ،

الآن يبحث فى كتاب أو مخطوطة

عما لن يجده أبدا .

كل أحلام النهار هذه قاربت التحقيق حيث اشترى بيتس برجا فى بالليلى بمبلغ خمسة وثلاثين باونا فى حزيران ١٩١٧ هيئة المناطق المزدهمة The Congested Districts Board سلخوا بعض أملاك جريجورى وقسموها أملاك صغيرة ، فباعوا القلعة رخيصة ، إذ كتب عنها وكيل الأرض المسئول : أن قيمته (البرج) ، كمحل إقامة ، تذكارية . وفيه بسبب ذلك متاعب . قرر بيتس بعد زواجه أن يصرف عليه شيئا من المال ليعيد ترتيب القلعة بحيث تصلح لإقامة صيفية . وصل مع زوجته إلى أيرلندة فى ١٩١٨ . بقيا فى دبلن وجلاند الو GeIndalaugh ، وكاونتى ويكلو ، حيث كتب بيتس بضع قصائد ، إحداها راعى غنم وراعى معز Shepherd and Goat Herd .

فى نكرى ابن ليدى جريجورى الذى قتل فى الجهة الألمانية . بعدها ذهب إلى سليجو Sligo ، فأوحت له حادثة هناك بقصيدة يثنى فيها على حكمة زوجته وحنانها ويعتذر عن مزاجه الكئيب :

وإن ارتحلت فطنى
فى رحلة على حصان فى الخيال
كمشحة تستحتهما
ذكريات طفولية لصليب بوليفكسن العجوز
ومدلتون التى لم تسمى باسمها
ويبتس أحمر الشعر الذى تلوح لى ملامحه ،
وإن مات قبل زمنى ، فهو جلى كذكرى .
سمعت ، ذلك الكادح ، الذى خدم شعبي
قال فى الطريق المفتوح ، القريب من ممر سليجو -
كلا ، كلا ، لم يقل ، ولكن صاح عاليا -
« جئتكم ثانية ،
وبالتأكيد ، عشرون سنة وقت كاف لأجئ ،
أفكر بقسم طفل أقسم عبثاً
ألا يغادر ذلك الوادى الذى
كان أبأوه يسمونه بيتهم .

فى حزيران زارا « كول » Coole ، فأعارتهما ليدى جريجورى دار « بالينامانتين »
قرب باليلي التى أفادا من سكنهما فيها فى إجراء تصليحات على البرج . كان هناك
كوخان شيدا قريبا من مبنى صخرى ضخمة ، أحدهما كان خربا أعيد ترميمه ، لكن
البرج كان مشكلة أكثر صعوبة . ففيه أربع غرف كبيرة واحدة فوق الأخرى وأرضيات
هذه الغرف تالفة من زمن ، ولم يكن فوق المبنى سقف علوى (يحمى سقوف الغرف) .
أولا أصلحت غرف البرج لتكون صالحة للسكن . سقوفها وحدها تصد الطقس . فى
١٩١٩ استخدم بيتس الطابق الأرضى مكتبة . بعدما استخدم الغرف التى فوقه لهذا

الغرض ، بينما صار الطابق الثانى غرفة نوم ، أثاث من خشب الدردار ، ثقيل صنع له فى ذلك المكان ، قام بذلك نجارون محليون .

لا متضدة ، لاكرسى أو مقعد

ولا أبسط شئ

للأولاد الرعاة فى جاليلى .

بدأ البرج يتضح أكثر فى شعر بيتس . فى حزيران ١٩١٨ أكمل قصيدته « فى ذكرى الرائد روبرت جريجورى » :

الآن وقد انتهى المطاف فى دارنا

أقدر أن أسمى الأصدقاء الذين

ما استطاعوا مشاركتنا

ونحن جوار نار الفحم فى البرج القديم

نتحدث حتى ساعة متأخرة

ثم نتسلق السلم المتوى إلى أسرة نومنا

وقد اكتشفنا حقيقة منسية :

أن كل رفاق شبابى ،

الذين تدور حولهم أفكارى الليلة ،

كلهم ، موتى

دائما يلتقى الصديق الجديد الصديق القديم فينا

ونألم أن مس أيا منهم البرد

وفى مجسات قلوبنا ملح لإدامة رونقهم

يكثر المتخاصمون فى الرأس ،

لكن ما من صديق ممن دعوتهم الليلة
يثير خصاما
لأن جميع من حضروا الليلة موتى .
لقد اعتدت على افتقادهم الحياة
لكنى ما اعتدت على افتقاد الولد العزيز لصديقى العزيز ،
سدنى ، رجلنا المكتمل
وأن يشارك هو أيضا
فى قطيعة الموت تلك .
كل الأشياء التى تبتهج برؤيتها العين الآن
كان يحب ،
الأشجار التى حطمتها العواصف
فألقت ظلالها على الجسر والطريق ،
البرج القائم على حافة النهر
والمخاضة التى يحركها القطيع الشارب فى الليل
فيفزع الصوت دجاجة الماء
وتهجر فى الليل أرضها ،
ربما كان هو المرحب الأكثر حميمية بك :
أمدّه البرج بمنطلق إلى « صلاة لابنتى » التى كتبها فى باليلى ، فى السنة التالية :
مرة أخرى تُعولُ العاصفة وطفلتى
نصف مخفية تحت غطاء المهدي والدثار

تنام . ولا حاجز يقف غير أشجار جريجورى

وتل أجرد فى الطريق لنهرى القش

والريح تهب قادمة من الأطلسى .

قرر بيتس قضاء شتاء ١٩١٩ فى إنجلترا ، بالليلى ممكنة فى الصيف حسب ، فهناك خطر الرطوبة ، إذا ما فاض الجدول الذى يجرى حول القلعة ، وعندها يتوجب على السيدة بيتس أن تجلب المؤن من مسافة عدة أميال . البرج يلائم مزاج شاعر يريد العزلة ، لكن الجانب الاجتماعى من طبيعته البشرية يتطلب صحبة . الصحبة التى وجدها فى دبلن فى الشتاء الماضى غلب عليها القلق السياسى والانفصال ، لقد تخلى عن غرفه فى مبنى وويزن Woburn Bilding التى أُجرت إلى دوكلاس كولدريك ، ولم يشأ العيش فى لندن مرة أخرى . ولأنهما ، هو والسيدة بيتس يحبان أكسفورد ، حيث عاشا الشهور الأولى من ١٩١٨ ، فى غرف فى شارع برود Broad street ، فقد سبها إليها حتى حصلت السيدة بيتس على دار أصلحت توا ، فى شارع برود مقابل باليو Balliol ، وانتقلا إليها فى تشرين الأول ١٩١٩ .

« ألف وتسعمائة وتسعة عشر » التى كتبت فى هذه الفترة تحمل الفكرة الكئيبة التى لنزاعات « لين » مبتعدة بها أكثر . ما يلاحظ من فرق هو أنه فى هذه القصيدة يرى كم سيئة هى الأمور فى أيرلندة ، كما أنه بلا أمل فى تحسنها . فضاة التغيير تظهرها مقدمة ونهاية القصيدة . المقطع الأول منها يصف الأشياء المبتدعة الجميلة فى أثينا ، مؤكدا على جمالها أكثر مما على اختفائها أو ضياعها . ثم يكشف ماتعلق به من آمال لا فى بداية المرحلة المثالية من عمله ، كما أظن ، ثم يظهر الآمال التى كان قد تمسك بها ، وأنا أظن أنها أيضا لم تكن فى بداية المرحلة المثالية لعمله الأدبى قدر ما كانت وقت تمزقت أوهامه . لقد أمل بتحسن تدريجى ، وبخاصة بنمو الرأى العام فى أيرلندة . ويقانون غير متحيز ، وبدا الجيش العظيم شيئا مثيرا للخيال ، لكن بدأ التناقض - بدأ « السود والسمر » * .

أيامنا مبتلاة بالثنين

* الأسمر المصفر وللأسف لانملك مفردة واحدة تعبر عن ذلك . فاضطررنا لترجمتها بالسمر ولسنا راضين بذلك تماما كما أشرنا إلى ذلك ...

والكابوس يمتطى نومنا
وهناك جندي ثمل يترك أمه
المقتولة عند الباب
يزحف في دمها متحررا من ضريته

الليل ينضح رعبا ، كما من قبل
وقد وزعنا أفكارنا فى الفلسفة
وخططنا لأن نخضع العالم لقانون
لكن ما نحن غير أبناء * عرس نتقاتل فى جحر
كان الاضطراب وسفك الدماء فى ١٩١٦ جزءاً من حدث مأساوى واحد (كبير) ،
ولكن « رؤيا » ترى أن فى العنف الجديد علامات عصر جديد آت ، ونهاية لـ « كل ما أدخر
الرجال » . جواب بيتس لأولئك الذين قد لا يستسيغون حتميته هو أن يعبر عن عميق قناعته :
..... وكل الظفر

سوف يتكسر فى عزلته الشبكية
بكلمات أخرى ، هو يفهم ماكان يجرى فى الحياة المعاصرة (وهى حقيقة تتضمن
ابتعادا أكيدا عما يجرى فعليا) . فى القسم الأخير ** يعود إلى الأشياء الجميلة فى
أثينا ، ليقوى الإحساس بالتغير :

فى البلاد حواليك لايجرؤ أحد
على القول أن تلك الفكرة له
أو كان محرّضاً عليها أو مُنجباً لها

* الصحيح بنات عريس ، وقد قصدنا تذكيرها لتدل (علينا) ... المترجم .
** المقصود به القسم الأخير من المقطع - راجع القصيدة ... المترجم .

فكرة إحراق ذلك المنبر فى الأكروبولس ،

وتحطيم العاجيات شظايا

والتاجرة فى الجراد الذهبى والنحل .

لم يكن أحد يتوقع إحراق الدور فى أيرلندا ، مع ذلك وبالرغم مما فى القصيدة من الحزن والأسف ، نجد فيها غنى عظيماً . شعره الذى خلع ثيابه الرومانسية فى مسؤوليات ، Responsibilities ارتدى الألوان والرغبات الحسية الآن . ارتدى الثياب الجديدة بزهو بعد أن أبيض جسده طوق « رؤيا » .

لم يعد يحدد قراءاته ، كما فى مرحلة الأصيل . قراءاته اتسعت فى مداها ، كتب فى ١٩١٥ :

لا أحرق يدعونى صديقا

فقد أتعشى فى نهاية الرحلة

مع « لاندور » أو مع « دون »

نجح فى مزجه المصادر الأدبية بتجربته الشخصية ، إن حياته والمشهد المعاصر يهتمان معا بحقهما الخاص (عنده) . لذا كان الناتج الحاصل منهما مترابطا كله فى نسيج ملتحم يرسم النمط الحاصل منه خطأ متعرجا يتكرر فى فكر بيتس .

مقاطع ألف وتسعمائة وتسعة عشر « تشكل وحدة واحدة » . المقطع الثانى يبدأ بذكرى راقصات لوى فولر Loie Fuller . هذه الذكرى أعادت فكرة التنين الذى يركب الأيام :

وبدا أن تنين الهواء

سقط بين الراقصين ، دار بهم

ودفعهم خارجا فى طريق هياجه

هذا أوصل الشاعر إلى السنة الأفلاطونية ، وهو بعد مشدود إلى فكرة « رؤيا » وإلى فكرة أن مفاهيم الصواب والخطأ تتغير ، وأن جميع الرجال راقصون . فى المقطع الثالث يتردد :

لتلعب أو لتركب تلك الرياح

المصطخبة بوصول الليل .

نتيجة المقطع الثالث ، أن الأحلام بلا جدوى تؤكد المضمون الجديد لرمز البجعة The Swan . ويبتس يعتقد بأن الرموز يمكن أن يكون لها بضعة معانٍ متغيرة ، واستخدام البجعة يوضح ذلك . فهو حين كتب « البجعات البرية في كول The wild Swans at Coole في ١٩١٦ ، كان مكتئباً جداً . وقد رمزت البجعات إلى رسوخ حبه لمودجون ، الذي بداله قبل هذا أنه أقل قوة . هو الآن يتذكر الحب الذي أربكه في ١٨٩٧ حينما جاء إلى كول أول مرة :

حلّ على الخريف التاسع عشر

مذ بدأتُ حسابي أول مرة

في ١٩١٦ تغير كل شيء ، فقد دلته ليدى جريجورى على طريق النشاط (السياسى) الذى أضع فيه جدة حبه اليانس . ذهب إلى فرنسا وقد ارتاح قليلاً لرفض مود عرضه الأخير للزواج منها ، لكن البجعات ماتزال غير مُجّهدة :

عشاق واحد بعد آخر

يخوضون في الجداول الباردة

جداول تصاحبهم طول الطريق

أو هي ترتفع فى الهواء

ماشافت قلوبها

عقب حب أو غزو ،

فهى تطوف حيث تشاء .

الآن أشهدهن ساكنات

في ١٩١٩ كانت البجعة وحدها وليس الرمز الشيلوى الذى قد يكون اتخذه أنموذجاً للبجعات البرية فى كول . فالاستور * أيضا رأى البجعة تنطلق محلقة وفكر :

* بطل قصيدة لشيللى ، بهذا العنوان ... المترجم .

أن لك بيتا أيتها الطائر الجميل
وأنت ترحلين إلى بيتك
حيث يلف ذكرك الحبيب عنقه النازل
على عنقك مرحبا بعودتك
بعينين تبرقان بوهج الفرح الحميم .
يرى بيتس البجعة الآن أمام خلفية عاصفة تصبح درامية :
قد تجلب تلك الصورة التوحش ، الغضب
لينها الأشياء كلها لينها
ماتخيلته حياتي ، حتى
الصفحة نصف المتخيلة ، نصف المقرؤة .
من بعد ، وفي قصيدة تماثلها درامية ، هي « كول وبالليلي »
١٩٣١ ، نجد عبارة « الرعد المفاجئ للبجعة بوصول الليل » رمزا للأحياء »
تلك الرياح المصطخبة بوصول الليل
وهي تشير إلى اقتراب الكارثة التي صورها نظام بيتس . والمقصود بالبجعة
راكبه هذه الرياح هو تقبل الحقائق غير المستساغة :

الانسان عاشق ويعشق مايتلاشى

فأى شئ أكثر من هذا يقال ؟

بعدها ، فكر أن البجعة هي التي جاءت ببداية الدورة الفرنسية * :

« أتصور البلاغ الذي أسس اليونان ، قد صدر لليدا كذلك ، متذكرا أنهم أظهروا
في معبد أسبرطة ، واحدة لم تفقس من بيوضها ، حامليها للسطح مثل أثر مقدس ،
فنتج من واحده من بيوضها الحب ومن الأخرى الحرب . إذن ، أصبحت رمزا للحرب .

* الإغريقية القديمة .

كتب ليدا والبجعة لصحيفة جورج رسل « الأيرش سيتيمان » ، فى ١٩٢٣ رفضها رسل مخبرا بيتس أن قراءه المحافظين سوف يسيئون فهم القصيدة . فى ملاحظاته التى كتبها لطبعه كوالا پريس ، التى ظهرت فيها القصيدة ، يصف بيتس الأفكار التى وراء المراحل الأولى لتلك القصيدة :

بعد الحركات الديماغوغية التى أسسها هوبز وأشاعها الموسوعيون والثورة الفرنسية ، ورثنا تربة مستنفدة ليس بمستطاعها إثبات أية غلة ثانية لقرون . ففكرت : « لاشئ ممكن الآن ، إلا الحركة ، أو ولادة من فوق تبدأ ببلاغ عنيف . « بدأ خيالى يتمثل ليدا والبجعة (ليدا وذكر البجع) * كاستعارة وبدأت القصيدة ، لكن وأنا أكتب ، تمك المشهد طائر وأمرء وقد غادرت السياسة كلها .

تأسست القصيدة على لوحة لمايكل أنجلو رآها بيتس فى البندقية وأخذ لها صورة فوتوغرافية كبيرة .

رعشة فى أعضائها تتواصل

فى السور المنشق والسقف المحترق

والبرج وأغا مذنون الميت

أتراها وقد أمسك بها تماما

وسيطر عليها الدم الوحشى والسقف المحترق

قد ارتدت معرفته وقوته .

قبل أن يتركها المنقار المكتفى وتهوى ؟

الانتقال من المقطع الثالث إلى الرابع انتقال سهل . فهو يكشف موقع مجئ الدمار الذى سبقته حماسته المبكرة « ومشقوقة الهامة » ، ويعود إلى السخرية .

* « ليدا والبجعة » عبارة جميلة وأليق بالشعر ، لكنها ليست دقيقة . لأن البجعة فى القصيدة ذكر ولا بد من إيضاح ذلك . لذلك كنت أمام خيارين أماليدا والتم « والتم يوحى بالمذكر - لفظا - أو « ليدا وذكر البجع » وهذا يتفق وترجمائنا الأخرى مثل « البجعيات البرية فى كول وسواها . ولهذا اعتمدنا « ليدا وذكر البجع » عنوانا للقصيدة ... المترجم .

فتاتى لنا صورة .

التفاته ابن عرس ، ضرس ابن عرس

مزيجا من التجربة والقراءة . لقد شاهد بنات عرس تتقاتل فى كول ، وهريت عبر الطريق إلى ما بين الأشجار . وقرأ « محادثات خيالية » لـ « لاندور » ولأنه مولع ولعا خاصا بالموضوعات الأيرلندية ، يمكننا أن نستخلص من ذلك أن تجربته الخاصة مع بنات عرس قد أضاف لها فهمه « الأدبى » للحديث الذى جرى بين ويندام وشريدان حول « تأسيس كنيسة فى أيرلندا :

« استدار ابن عرس فهو أمام الفأر ، وفي الأقل أنهما حين كانا يتقاتلان ، ما استطاع أى منهما أن يَحْتُ عارضةً » أو يغزو حافظة طعام .

هذا أحد المواقف التى يسهل على شخصيته الموزعة أن تواجهه بالسخرية . وتلك سمة قديمة تسم شخصيته التى تكن ثارا من السنين التى كبح فيها التعبير عن شخصيته . المقطع الخامس ، وهو مقطع يعتمد عنصر السخرية فى شخصيته يستقى مايعنيه من المصادر الأدبية ، فأبيات « بليك » :

أسخر ، أسخر ، يافولتير وياروسو ،

أسخر ، أسخر ، كل شئ سدى

أنت ترمى التراب بوجه الريح

والريح تعيد التراب عليك .

ضمنها بيتس مستفيدا من فكرة تكرار السخرية وقوة الريح المخربة .

ومن قصيدة ثانية تذكر به قصيدة لـ مانجان Manjan تلك هى « ذهب من الريح » وهى قصيدة لطيفة ذات لازمة مأخوذة من روكرت Rückert .

تتلاشى أمجاد وأبهات العالم فى الريح

سليمان ! أين تاجه ؟ لقد ذهب مع الريح .

بابل أين سلطانك ؟ لقد ذهب مع الريح .

تذهب مثل ظلال الظهر الزائلة

مثل أحلام الأعمى .

لكن قد يكون المُذَكَّرُ المباشر والدائم بالريح هو عواصف المحيط التي تهب على باليلي . فى « صلاة لأبنتى » A Prayer for My Daughter تقدّم من وصف مايحيط بالبرج وهجمات العاصفة الهابة من البحر إلى وصف الهجوم المشابه للوحشية التي يراها تكتسح العالم ..

تشكل الريح ذروة القصيدة فى المقطع السادس ، مرتبطة بالمقطع الثالث بكلمة « متاهة الريح » مُذَكَّرُ صُمِّمٌ لتذكير الشاعر بحاله فى المقطع السابق ، حيث

الشاعر فى تأمله السرى

يضيع فى المتاهة التي صنع ،

فى الفن أو فى السياسة .

أساس المقطع الأخير فكرة مفادها أن فى العنف الجديد ، ستجئ الأرواح على الريح ، جديدة وأشد هدفا مما يراه القرويون أحيانا ويصفونه « بهبوط الملائكة » ، أو « سكنة الريف الجدد » وهى تركب الخيول أحيانا ، خيولا على رؤوسها ورود هذه الأرواح الجديدة تذكر بيتس بقصيدة لأرثر سيمونز

« رقصة بنات هيرودياس » ، حيث ترقص البنات :

بأقدامهن الخالدات التي لاتخطئ

وفى الرقص دائما وبسببهن ، وهذا ما يبهجهن ،

يهوى رأس الرجل

لكنهن لايرغبن بالموت ، ولا بأن يدحرن

جسدا أو روحا ، كلا ، كلا

لايلذ لهن ذلك :

هن يرغبن بالحب ، رغبتهن بالرجال

وهن عدوهم الأبدى -
إنهن فتيات غير حقيقيات .
أشكال فى مرآة ، أشكال هالكة
ينزلقن ، لا أجساد لهن ،
ولا إقامة فى مكان ثابت ،
لا فى المعرفة يُقْمَنَ ولا فى النفوس .
قد يوضح معناهن فى قصيدة بيتس تفحص أبيات سيمونز التى تصف تأثيرهن
فى الأشياء التى يعتز بها الرجال :

الحكمة التى هى أحكم من أشياء تعرف ،
الجمال الذى هو أجمل من أشياء نرى ،
الأحلام التى هى أقرب للأبدية
من كل اصطخاب الدم الفانى
الذى يشن الحرب على نفسه إذ يُحِبُّ ،
فيهن ويموت .

وأضاف بيتس لقصيدته شخوصا يرتاح لهم ، « ديم أليس كويتلر » ومضاجعها *
روبن أرتيسون Robin Artisson بعد أن قرأ مخطوطة فى - المتحف البريطانى فيها
معلومات عن سيدة تمتهن السحر ، جئ بها أمام محكمة عقدت فى كيلكنى Kilkeny
سنة ١٣٢٤ وبحضور المحلفين ريجارد دى ليد ريد ، وأسقف أوسورى .

بدء من ١٩١٤ والسنوات التى بعدها صار بيتس يستخدم أسماء شائعة بحرية
أكثر أضاف ذلك إلى واقعية شعره وقوته ، فاكسبت القصيدة صفة مستجدة .. واصفا
فيها غرابة اسم الساحرة وشيطانها . التقط بيتس بموهبته النافذة الجوانب الحية
لتضحياتها ، فكانت مكافئتها له مجموعة من الصور المثيرة وغير الاعتيادية . التأثير

* روح تلم بالنائمات ليلا فتجامعهن ... المترجم .

الذى أراد أن يكتسبه منها كان واضحا تماما فى ذهنه ، ولذلك كان يختار كلماته باقتصاد تَعَلَّمَهُ وهو يجهد فى التحرر من الأوهام . فكانت النتيجة قصيدة قوية وملونة ، تقدم إجابة مباشرة برعشة رعب خفيفة خلال أعمال السحر والمحاكمة :

تقطر الريح وقد استقر الغبار

فتسلل ليرجس عيناه كبيرتان دونما فكرة ،

تحت ظلال خصل حمقاء بشحوب القش ،

ذلك الشرير الوقح

الذى جاءت له المغرمة ليدى كتلر

بريشات من طاووسها البرنزي

وأعراف حمر من ديكتها .

بعد مدة قصيرة من انتقالهما إلى دارهما فى أكسفورد وصلته دعوة من أمريكا لاقاء محاضرات هناك ، فبقى فى أمريكا ، حتى أيار ١٩٢٠ ، وكان يرجو من وراء ذلك جمع مال لبناء سقف البرج . والآن لم يبدأ العمل فى باليلى بالسرعة المطلوبة ، لذا فقد استقر ، هو وزوجته ، فى أكسفورد مرة ثانية بعد عودتهما من أمريكا ، وبعد إقامة قصيرة فى جليمانور ، فى كوخ كان سينج قد كتب فيه « ظل الوادى » *The Shadow of the Glen* . أقام هنا بصحبة مدام ماكبرايد وابنها وصديقهما سيسيل سالكلد ، وكتب قصيدة عن صورة رسمها الأخير نشرت أولا بعنوان : « من وحي صورة قنطور أسود » * .

ثم ظهرت بعدئذ بعنوان « عن صورة قنطور أسود لادموند دولاك » *Edmund Dulac* عاد إلى أكسفورد بعد أن أزال د. أوليفر كوجارتى لوزتيه فى دبلن . كتب قسما من « ارتجاج القناع » *Trembling of the Veil* وهو جزء من سيرة ذاتية نشرها بطبعة محدودة « ورنز لورى » فى ١٩٢٢ .

كتب قصيدته التالية من وحي ذكريات بعض أصدقاء شبابه . هذه القصيدة هى : « ليل الأرواح كلها » *All Souls' Night* منطلق هذه القصيدة يتلائم والشخصيات

* القنطور مخلوق خرافى نصفه رجل ونصفه الآخر فرس ... المترجم .

الغريبة التي أحب ذكرها : هورتون Horton فلورنس فلار F. Flarr ماك جريجور
ماذرز Mac Gregor Mathers :

حل منتصف الليل والجرس الكبير فى كنيسة المسيح
وكثير من الأجراس الأصغر ، يتخلل الغرفة ،
هو ليل الأرواح كلها ،
وزجاجتان طويلتان من خمرة العنب . *

حب على المائدة ، قد يأتى شبح

فى الشتاء ألقى حديثا عاطفيا فى اتحاد أكسفورد ضد الهيمنة الارهابية للحكومة
البريطانية على أيرلندا . كانت ليدى جريجورى هى التى تزوده بالمعلومات عن الأحوال
فى أيرلندا . وهذه المعلومات أعطته أدلة اتهام مادية واسعة . بين نيسان وحزيران أعلن
بيته فى أكسفورد للإيجار ، وعاشت عائلته فى ميشن كوتج Michen's Cottage فى
شلنجفورد . من هناك كتب بيتس إلى السيدة شكسبير ، وفى التاسع من نيسان ، أنه كان
يبحث عن رموز للدوائر الدائرة « للمخروطات » التاريخية ** فى كتب مثل كتاب السيدة
سترونج Mrs Strong « التآليه وما بعد الحياة » Apo theosis and after Life كان
يأمل من دراسة تلك الكتب أن يتعمق فى رؤية ماسوف يأتى . كان يكتب سلسلة من
قصائد بعنوان « أفكار مستوحاة من حالة العالم الراهنة » عنونها من بعد « ألف
وتسعمائة وتسعة عشر » التى وصفها بأنها :

« ليست فلسفية لكنها بسيطة وعاطفية ..

وهى أسى على السلام المفقود والأمل الضائع .

فلسفتى الخاصة لاتضىء المشهد كثيرا

مثلما لاتضىء أى مستقبل سنعيشه»

* فى الأصل العنب الأحمر Muscat أو Muscatel كما ورد فى القصيدة وهو مايسمى بخمر
المشكات وهو المصنوع من ذلك العنب حسب تقديرنا ... المترجم .
** إشارة إلى نظرية بيتس المعتمدة على الدوائر وأوجهها ... المترجم .

قصيدة لاحقة هي « تأملات في زمن الحرب الأهلية » تتعد بتلك النتيجة أكثر .
المقطع الأول منها كتب في ١٩٢١ ، وقد أوحى ببعضه دار ليدى أوتولاين موريل
وحدائق في كارسنجتون حيث كان بيتس زائرا :

.... حيث يتنزه الطاووس

بأقدام لطيفة على ممرات قديمة

أو أن جونو كله ، يخرج الآن من زهرية

يستعرض الآن أمام آلهة الحديقة غير المكترئين

البيوت الأيرلندية القديمة ماثلة في ذهن بيتس أيضا ، هدوء الحياة المسمتباح في
هذه الأملاك الشاسعة للأنجلو أيرلنديين يقارن هنا بينبوع ، لكن رمزا أفضل خطر له
من بعد . مجد الأغنياء مثل صدف بحر ألقت خارج التيارات .. flung out of stream
ربما أوحى بأصل هذه الفكرة انقطاع التوازن في كول . فالأملاك فيها صارت للدولة «
ولم تعد تنتقل مع تزايد غنى الحياة . وفي هذه الحال يبدو لنا أن الفكرة مأخوذة أصلا
من شيلي حيث الماء في شعره رمزا لوجود ، وفي « ثورة الإسلام » * يقذف البحر
بالمحار والرمال اللماعة إلى داخل البرج . كما نجد للرمز في « دور الأحقاد » بعضا
من معناه في مسرحية « "The ongy Jealousy of Emer" حيث تلقى المحارة **
وهي صورة جمال واه ، على الرمال . تلقيها هناك عاصفة مفاجئة في كل حال تمر
عليه يتفكر بيتس في ذلك العنف الذي صنع المحارة في الظلام الغامض .

من حـزيران إلى كانون الأول بقى الـيـتـسيـان *** فـى كـنـتـبروك هاوس في
تيم Cuttleb rook House at Thame في أب ، ولد « مايكل بتلر بيتس » ابن الشاعر :

أدع شبحا قويا ليقف عند رأسه

لكي ينام ابني مايكل عميقا ،

* ثورة الإسلام قصيدة للشاعر شيللي ... المترجم .
** فضلنا استعمال كلمة محارة مقابل ل Shell في مواقع معينة استعملنا كلمة صدف - مقابل لها
لأسباب ذوقية ، وفنية أحيانا يقدرها القارئ ... المترجم .
*** هكذا في الأصل The Yeatses والمقصود طبعاً بيتس وزوجته .

لا يصرخ ولا يتقلب فى فراشه
حتى تجئ وجبته الصباحية ،
فعسى أن يترك الأصيل المرتحل
كل الخوف بعيدا حتى يعود الصباح
وكى لا تفتقد أمه عميق نومها

فى الخريف نشرت « الأربع سنوات » ذلك القسم من سيرته الذاتية الذى يتناول السنوات ١٨٨٧ - ١٨٩١ ، وقد نشرته كوالا بريس ، كما نشرت مكميلان مسرحيات « النور » الأربع فى الوقت نفسه تقريبا . فكر بيتس قليلا فى العيش فى « كورك » حيث إمكان تأسيس مسرح للأعمال المسرحية التى لاتروق لجمهور مسرح « أبى » .

بدا لبيتس أن اتفاق أيلول ١٩٢١ سيوفر حرية حقيقية لأيرلندة ، لكنه لحد ما كان متشائما . كتب للسيدة شكسبير يقول أنه فكر بوقوع حرب أهلية بين المتطرفين والذين وقعوا الاتفاق . وفى تلك الحال ستهجر « باليلى » وكذا (ستلغى) كل خططه للعيش فى دبلن . فكر أن وجود الأطفال فى أيرلندة سيجلب المرارة لحياتهم وفى انكلترا سيشعرون بأنهم ليسوا فى مكانهم . انتهت هذه المقلقات حين اشترى دارا جورجية كبيرة فى ميدان مريون Merrison square فى دبلن ، كان ذلك فى شباط (من تلك السنة) . كان بيتس ممرورا من أولئك المتعصبين للاتفاقية (التى أدت إلى إلحاق أولستر Ulster ودومينون بـ « الجنوب » ، أى بـ « ولاية أيرلندة الحرة » ، كما كان مألوما من الجمهوريين المتطرفين . بقى مستاء من الاثنين ، يشعر أن كلا الطرفين ، كان مسئولا عن تزايد الكراهية .

لقد استقبل بحفاوة فى عودته . أرسل ممثلا من « شن فين » Sinn Fein إلى مؤتمر العرق الأيرلندى Irish Race Congress الذى يعقد فى باريس . فى أيار ذلك العام ، منح شهادة الدكتوراه فى الآداب من جامعة دبلن ، وهى علامة ترحيب به . أدامت هذه المبادرات الارتباط العائلى بينه وبين ترنتى Trinity (فأخوه جاك ، تسلم أخيرا شهادة شرف من الجامعة . وابن الشاعر ، مايكل حصل سنة ١٩٣٤ على عضوية الهيئة الأولى Modratorship فى التاريخ ، ونتيجة لذلك أصبح مستمعا Auditor فى الجمعية التاريخية فى الجامعة .

اندلعت الحرب الأهلية حينما كان بيتس فى بالليلى وهو مكان شبه مقطوع عن العالم الخارجى . معابر انسكك الحديدية هناك اكتُسِحَت والطرق مُلِئَتْ بالصخور والأشجار . لم تكن هناك صحف ولا أخبار يُوثَقُ بها :

نحن مُطَبِّقُ علينا ، وقد دار المفتاح

على حيرتنا ، وفى مكان

قتل رجل أو أحرقت دار ،

دونما حقيقة واضحة يشار إليها :

لقد تملكته رغبة بأن يكون بعيدا عن الحزن والمرارة لكن كان صعبا أن يظل معزولا ، وهناك فعلٌ قتالى يجرى ، وهناك شباب يثيرون حسده .

المقطع الثانى والثالث والرابع من « التأملات » وصف للبرج . وقد صمم ذلك الوصف ليكون مقابلا مضادا لما يجرى فى الخارج :

« المرء لا يدري ما كان يحدث فى الجهة الأخرى من التل أو الخط الثانى من الأشجار . سيارات فورد تجتاز دارنا من وقت لآخر وعلى سطوحها وبين مقاعدها تواييت ، وفى الليل أحيانا كنا نسمع انفجارا ، ويوما شاهدنا دخانا ، كانت دار كبيرة مجاورة لنا تحترق . لابد من أن البشر عاشوا الكثير من القرون العاصفة . »

لقد منح صورة بالمر التخطيطية لـ (قصيدة ميلتون) * Penseror II * وجودا :

مسافرون أدركهم الليل

(عائدون) من الأسواق والمعارض

رأوا شمعته فى منتصف الليل تأتلق

حصل بيتس على سيف « ساتو » Sato's sword . هذا السيف وهبه له يابانى فى بورتلاند ، أوريجون ، سنة ١٩٢٠ (كان هذا الرجل اليابانى قد حضر مستمعا لمحاضرة ألقاها بيتس هناك) ، كان ذلك السيف رمزا للفن القديم يُنكَّرُ بذلك التقليد القديم الذى ورثه الولد عن أبيه . عاد بيتس بتفكيره إلى أحفاده هو وراح يفكر بما قد يحدث لهم بعد موته :

* ومعناها « البهجة » ... المترجم .

... نادرا ما تلقى الحياة شذى فى الريح
ونادرا ما تنشر مجد أشعة الصباح
لكن ستتشر التويجات الممزقة على أرض الحديقة
وليس بعد ذلك غير خضرة اعتيادية

فى المقطع الخامس من القصيدة تبدو حياته التأملية غير مجدية ، قياسا إلى
حيوية الجندي ووضوح غرضه ، إنها تفجير يؤكد الوصف السابق لما كان عليه سلفه
فى البرج ، ذلك الذى كان متأهبا بسلاحه وقد جمع عشرين جوادا وأمضى أيامه فى
مكان مصطخب ، وكيف هو الآن فى البرج ، رمز شعري :

يتوافق ورموز محنة

إن عصره شهد عنفوان الشباب فى المحاربين الذين قدموا إلى باليلى (الجمهوريون
نسفوا الجسر المؤدى إلى القلعة) :

لطيف ، غير منتظم

رجل « فلستافى » متين الجسم

جاء يقهقه بنكات عن الحرب الأهلية

فكأن الموت بطلقة بندقية

أفضل لعبة تحت الشمس ،

رائد أسمر ورجاله ،

نصف مكسو بالزى الوطنى ،

يقف عند بابى وأنا أتدمر

من رداءة الطقس ، برد ومطر

وشجرة كمثرى كسرتها عاصفة .

لقد كان يحسددهم على امتلائهم بأهدافهم ، على تجمهرهم ولا مبالاتهم بالموت ، وعلى كل المزايا التي تمنأها لحياته يوما وأراد أن يصفها :

فعدت إلى غرفتي

لتحسنى ثلوج الحلم الباردة

فى ١٩١٦ حدث تحوّل فى مزاجه ، فبعد تلك (الأمور) ، صار يكره الثورة ، كما هو حاله الآن . وهذه مسألة يوضحها سير وليم روثنستاين Sir William Rothenstein ، الذى كان يُقيم معه حين اندلع تمرد ١٩١٦ ، بقوله :

« لقد استاء لحد ما ، لأنه لم يُستَثَر ، وقد أُبعدَ عما كان يجرى . »

كان ذلك التحوّل طبيعيا . ففى ١٩١٦ رأى قادة الحركة يفقدون تقدير عالم القيم الآخر ، العالم الذى كان هو يعيش فيه :

كيف يعرفون

إن الحقيقة تفتح بحيث يشع مصباح الدارس

حيث المتوحد لا يشعر بالعزلة ؟

هكذا جاء الحشد ، وما كانوا من ينبغى أن يأتوا ،

فموسيقاهم عالية وأملهم يتجدد كل يوم

وهم عشاق يزداد لهفة ،

وذلك المصباح من الضريح

وقد جرّه الآن تقدم العمر يالى مزيد من الحسد المكشوف لشبابهم ونشاطهم ، هو الذى ماهزته الأحداث التى حلت من قبل ، إذ لاذ بنفسه مع البرد والمصباح والبحث عن حكمة التحف القديمة واجداً معها ألفة :

أدرت وجهى وأغلقت الباب ، وعلى السلم

تساءلت كم مرة أثبت جدارتى بشئ

كل الآخرين يفهمونه أو يشاركوننى فيه ،

لكن أوه أيها القلب الطموح ، فليكن ،
ذلك الاثبات استقدم جمعا من الأصدقاء
وأراح ضميرا
ولكنه هو الذى زادنا ضنى
الفرح الخيالى والحكمة نصف المقروءة للصور الدايونية
أرضنا الرجل المعمر كما أرضنا
يوما الصبى النامى .

زادت ثقته بنفسه إذ اختير عضوا فى مجلس الشيوخ فى حكومة أيرلندة
الحررة التى تأسست حديثا . لقد أوصله لهذا فعل صديقه دكتور أوليفر
جوكارتى DR. Oliver Geogarty . ومن السخرية إن اختياره هذا تم بسبب عضويته
فى منظمة الجمهوريين التدميرية I.R.B. أكثر مما بسبب ماقدمه للأدب الأيرلندى .
ارتبط بعمله بحماسة كى يسهم فى خلق الدولة الأيرلندية ، وكتب إلى السيدة شكسبير
عن كل ماكان يجرى مثل :

« حشرات من المرجان ، وفى رؤوسنا تصميم للجزيرة
النهائية ، أثناء ذلك امتلاء البلد بالأسلحة
والمفجرات ، إنها تنتظر يدا عنيفة تستخدمها ،
قد يتناثر كل مرجاننا بطيئ النمو ، لكنى لا أظن -
لا أظن إلا إذا بدأت أوروبا الحرب مرة أخرى وبدأت
تتدفق ثانية تلغرافات العنف والشراسة . »

انتمى إلى نادى شارع كيلدير Kildare Street Club ، قبضة حماية أيرلندة
الأكثر احتراما ، (وقد أسماها فى أيامه الوطنية بـ « البريطانىة - الغربية . » اهتم
بالأمور التى كانت تناقش فى مجلس الشيوخ Senato مشاركا فى أفكار أولئك
الأعضاء ، وبخاصة هم الذين من طبقات الأقطاعيين البروتستانت وأصحاب الأعمال ،

والذين تجمعوا حول صديق والده « أندرو جيسمون Andrew Jameson ، صاحب
معمل تقطير خمور ... من ملاحظاته أن الاهتمام بالفنون الإبداعية : يتطلب تأسيس
أكاديمية آداب أيرلندية . لذا شغل نفسه فى مشروع لتنظيم أحسن لمخطوطات
الأكاديمية الوطنية الأيرلندية . فى تلك السنة كتب قصيدة من وحى التواصل العقلى
بينه وبين زوجته ، والذي تحدث عنه بتفصيل أكثر فى « علبة إلى أزا باوند » . قصيدته
« هدية إلى هارون الرشيد » تنتهى بقطعة تظهر إيمانه بنفسه ، وزواجه وفنه ، هذا
الفن القائم على « رؤيا » . إنه الآن حر فى تناول أى موضوع يهمه :

أنزل الصوت مزية الحكمة من

مزية محبها الدائم . العلامات والأشكال ،

كل هذه المجردات التى تخيلت كانت

من العظيم تريتاييز بارمينادس ،

كل ، كل تلك الدوائر والمكعبات وأشياء منتصف الليل

ليست غير تعبير عن جسدها

وقد ثمل بالحلاوة المرة لشبابها .

والآن انتهى غموضى الأكبر

فجمال المرأة راية ألقى بها العاصفة ،

تحتها كانت تقف الحكمة وأقف أنا وحيدا -

وحيدا بين كل عشاق جزيرة العرب -

ماغشتنى الزخارف ولا أضاعتنى

طيات ليلها الفاحم ،

استطيع أن أسمع الرجل المسلح يتكلم .

عند نهاية « سنة العجائب » *annus mirabilis* * ، مُنِحَ بيتس جائزة نوبل .
سافر بيتس فى كانون الأول (من تلك السنة ، لتسلم الجائزة . وقد احتفى به البلاط
السويدى والعائلة الملكية السويدية . بعد سنوات قيل له إنهم قالوا عنه بأن له لياقات
رجل بلاط وأنهم فضلوه على آخرين ممن نالوا جائزة نوبل . بدا الرجل شبيها
بشخصية مهذبة من رجالات الريف ، وكان يستشهد بهوراس وكاتولوس ، وكانت
الأميرة مارجریت ذات جمال ذكى تمتلك دائما نياحة الاقتراح الدقيق . ثناؤه العالى
على الكمال ، تحقق بعد جهد طويل : « تلك القوة النهائية الحاسمة التى تدير حلزون
المحارة » .

منحت الميدالية التى تسلمها ، إلى جانب طاقاته الشعرية ، مظهره هيبه أكبر .
فتصميمها الفاتن ذو الزخرفة الأكاديمية ، فرنسية الطراز ، من القرن التاسع عشر ،
أظهرته شابا يصغى إلى آلهة فن ، شابة جميلة تقف ويدها قيثاره كبيرة ، «
أظن وقد تفحصتها أنى كنت حسن المظهر مثل ذلك الشاب ، لكن شعري الذى لم
أتدرب على إلقائه كان مليئا بالتشديد ، ألتهى ، وهى ذات حسب ، بدوت أمامها عجوزا
مصابا بالروماتزم ، ليس لى ما اتطلع إليه ، غيرها ، غير الهتى الشابة هذه أننى لمقتنع بأنها
تشبه تلك الملائكة فى رؤيا سويندبرج ، وتتحرك أبدا « باتجاه ينبوع النهار لشبابها » .

جائزة نوبل وعضوية مجلس الشيوخ توجاييتس رجلا ، وشاعرا يبحث عن
الشهرة . وكان يتقبل الجوائز المادية بترحاب أيضا ، وإن شاب رضاه بعض الحزن.
كتب سنة ١٩٢٤ :

أنا الذى أثرت كثيرا من الغضب

إذ كنت يافعا

(أرانى) الآن بلسان قلق

أعجل وداع المعرفة

هذه الحياة المزدهرة انعكست كلها فى البرج .»

* المترجم : هذا عنوان قصيدة لدرابدين باللاتينية ، معناها سنة العجائب ١٦٦٧ . تصف القصيدة
حريق لندن وحرب الألمان .
وهى من الأحداث الرئيسية فى ١٦٦٦ ، فى مقدمة القصيدة يناقش درابدين فهمه للخيال الشعري .

أما وقد حضر فكرة ضمن نظام ، فقد كسب بهذا اعترافا بمعتقد كان وحده الذى يعرفه ويفهمه ...

ما الماضى ، أو الذى يمضى أو الآتى .

الحرية التى كان منذ طفولته يراها غير مجدية ، ظفر بها أخيرا فإذا الحياة مثيرة لكن فيها هموم كبر السن . لهذين الجانبين المختلفين ، فى موقفه من الحياة ، تعبير واضح فى شعره . واجه كبر السن بالبحث عن هوايات فكرية . وقد ظهر ذلك مبكرا فى « البرج » .

فهل على أن أسأل آلهة الفن كى تعود

وأختار صداقة أفلاطون أو صداقة بلوتينوس

حتى يكتفى الخيال ، حتى أكتفى سمعا وبصرا

من الحديث عن المجردات

لكنها رغبة الشباب القديمة أن يصد رغب جسده ويعيش حياة متوحدة من أجل المحكمة . كان دائما يعيد اكتشاف نفسه ، هذا سر المتعة التى يحملها كل شعره المتأخر . له الآن طرق شتى للإفصاح عن نفسه ، وشخصيته الآن ، بعد سنوات التوتر ، تستحق التعبير عنها . شخصيته هذه هى سبب التفجر فى المقطع الثالث من هذه القصيدة التى فيها ، بعد نسيان مصادره ، يقول :

وأعلن إيمانى :

أنى أهزأ من فكر بلوتينوس

وأصرخ بوجه أفلاطون

فما كان الموت ولا كانت الحياة

حتى قرر الإنسان كل شئ

وصنع من روحه المريرة

قفلا ومسندا وبرميلا .

يمكن أن يوحى كل وجه من الوجوه المتناقضة لشخصيته بقصيدة تعبر عنه ،
لذا المقطع الثالث والأول مرتبطان ارتباطا وثيقا ، بالرغم من التعارض الظاهر
بينهما . الكل يشكل فكرة معقدة فى المقطع الأول أعلن أن الشيخوخة المتداعية قد
شدت إليه كما شدت مغلاة إلى ذنب كلب ، مع ذلك فلم يعد أكثر .

مثار ، عاطفيا

ولاخياليا مسرفا ، ولا كانت أذناى

وعيناى أكثر توقعا للمستحيل

هذه الفكرة مأخوذة من بليك « . ربما كانت لأفكار بليك أصداء لايعى بها ، حتى
مفردات بليك كانت جزءا مكملا لبييتس . لقد استشهد بهذه القطعة فى رسالة « إلى
طيار من بوستون » فى ١٨٨٩ :

« إننى قريب جدا من بوابات الموت ، وقد

عدت واهنا جدا ، ورجلا عجوزا هزيلا هالكا ،

لكن لا فى الروح والحياة ، ولا فى الرجل الحقيقى

أو الخيال الذى سيعيش إلى الأبد . فأنا فى ذلك

أزداد قوة كلما زاد هذا الجسد الأخرق تلقا . »

فى المقطع الثانى يتسع أكثر بخياله الخصب كأنه يريد تأكيد قوته المتزايدة .
كانت النتيجة إبداعا فخما فيما يعنيه جو « البرج » له . حينما فكر أن من واجب
الشاعر (الوطنى) أن يصف مكانا معينا فى أيرلندة . اختار هو مكانا يعرفه ويحفل
برومانسية وجمال . كما كتب من بعد أشعارا عن أمكنة زارها :

حين يتدفق الماء الجواب

من التلال على « جلين كار »

بعحيرات بين الأسل ،

الذى لايسمح حشده لنجمة أن تسبح

ونحن نبحث عن عمر هاجع
ونهمس في آذانهم ، لانترك لهم أحلاما هادئة
وننحني بعيدا عن السرخس الذى
يساقط دمعهُ فوق
السواقي الصغيرة .

لم يكن محددا ، ولم يرمز إلى أى حالة شخصية غير حب جمال الطبيعة . وحين
شمل هذا الشعر ناس تلك المناطق ، بدوا فيه أشكالا ظليلة :

تعال أيها الطفل البشرى
إلى المياه والسكون البرى
أنت والجنية يدا بيد
لأن العالم أكثر امتلاء بالبكاء
مما تستطيع أن تفهم .

لذا ، وبالرغم مما فى هذا الشعر من جمال وسر ، نجده يفتقد قوة « البرج »
ديوانه الأخير ، حيث التفاصيل مرسومة بتخطيط ، وبدقة أكثر .

خطوات على الشرفات وحدقت بأسس المبنى
أو حيث تنبتق الشجرة من التربة
مثل أصبع مسودّ .

وقد تكررت الرموز كثيرة البساطة فى غياب التفاصيل غير المهمة : الجسر ،
الأشجار ، الريح ، الأكواخ ، دجاج الماء ، النهر ، السلم اللولبي ، الغرفة الحجرية ،
الضوء ، الشرفة ، قمة البرج . معنى الشعر شخصى جدا ، والمناطق مأهولة بناس
غير اعتياديين لكن شديدة الحيوية . العالم مايزال زاخرا بالبكاء ، ولكن ييتس
يفهمه الآن . إن لديه شيئا يقوله : فهو يكشف بمقطع شعرى واحد قصة سيرجونا

بارنجتون Sir Johna Barrington « تخطيطات لأوقاته » Sketches of His Times والتي قرأتها له السيدة بيتس ، ويتبعها الوصف الذي استشهدنا به عن ميرى هاينس ورافتري ، ثم الانتقال إلى هوميروس وهيلين ، وتذكر كيف استطاع أن يدع « هانراهان » ، الشخصية التي ظهرت في « الوردة السرية » وفي قصة هانراهان الأحمر . لقد اعتزل ليتذكر رجلا مقلسا عاش في البرج بينما أشباح البرج (الآخرون) يلعبون النرد ، فراح يحدثهم جميعا ، هؤلاء الأشخاص الذين جمعهم الأسطورة والتقليد ، تجمعهم أيضا جيرة مباشرة في ثور Thoor وبالليلي Ballylee ، تساءل إن كان كل الشيوخ من الرجال والنساء الذين مروا بهذا المكان قد :

أعلنوا غضبهم على كبر السن

أم أبقوه سرا ، كما أفعل أنا الآن ؟

ثم يعود إلى هانراهان الذي ابتدع عاشقا رومانسيا ، ويظهر الآن عجوزا فاسقا ، فهو يمثل أوجه شخصيته :

أكثر ما يقيم الخيال

على امرأة كُسِبَتْ أو امرأة خُسِرَتْ ؟

إن كان على امرأة خسرت

فاعترف بأنك تنحيّت

عن المتاهة الكبرى بعيدا عن الكبرياء والجبن

وأية فكرة حمقاء ماكرة

وأى شئ سمي يوما ضميرا .

في هذه الفترة غالبا ما كان يستعمل كلمة متاهة ، أو عبارة مثل mummy wheat التي تملكتهم زمنا ، لقد كانت منسية لكنها أعيدت من بعد ، وغالبا ما كان يعيدها كاكشاف جديد . هو لا يتحاشى تكرار الكلمات ، ذلك بالنسبة له تكرار صوت ، لا مظهر بيت مكتمل استحسنه . (مخطوطاته غير متقنة ، نوع من الاختزال ، لأنه يتغنى بشعره أثناء نظمه .) ويبدو أنه يستخدم التكرار بصورة عفوية ، مستحدثا

منه تأثيرات فائقة الأصالة وغير اعتيادية ، لا من الصوت حسب ، ولكن من المعنى وتوكيده .

فى المقطع الثالث تشكل هذه الذكريات الأساس الذى سيكون منه الشاعرُ روحه ، فهو يعود إلى صورة شبابه التى استخدمها فى المقطع الأول ، صورة تسلق التل لاصطياد السمك * ، لكن كم تغيرت قصيدته المبكرة حيث جنياته الغامضة الظليلة همست لأسماك السلمون المرقطة . لقد استخدم الصورة فى المقطع الأول كالاتى :

فى الصبا حين كنت

بعصا وطعم ** ، أو دويذة خانعة ،

أتسلق « بن بلبن »

وأقضى هناك نهار الصيف الطويل .

يسود فى هذه الأبيات وفى أبيات المقطع الثالث جو من النشاط والحيوية نفتقده فى أعماله المبكرة . وهو يغير الرمز فى المقطع الثالث إلى ذلك الذى استخدمه فى « صياد السمك » من أجل ذلك الرجل المثالى الذى كان بسيطا ك « رجل فعل » لكن كان مثقفا :

تركت الأيمان وتركت الكبرياء

لرجال سواى ، شباب معافين

يتسلقون سطح الجبل ،

(أولئك) الذين تحت سنا الفجر المتفجر

قد يسقطون حذافة

القطعة الأخيرة ترسم بجلاء كيف كان عليه أن يتعامل مع تعاسات الشيوخة ، ضعف البدن وموت الأصدقاء والمحبين :

* هكذا فى الأصل ، ويبدو أن ثمة أسماكا فى جداول ومياه ذلك المرتفع ... المترجم .

** فى الأصل : Fly ومعروف أن معنى الكلمة ذبابة أو يطير لكن توصلنا إلى أنها تعنى حذافة أيضا ، وتعنى طعاما لا طعام السمك ، فتوقفنا هنا وترجمناها طعاما فى البيت الثانى وحذافة فى البيت الثالث حسب المعنى ... المترجم .

الآن سأحكمُ رُوحى

أخضعها للدرس

فى مدرسة تعليمية

فى كانون الأول ١٩٢٦ بدأ قصيدته : « الإبحار إلى بيزنطة » فى حالة حسد شديدة للشباب الذين لا تحول سنهم دون الحب ، الذين يظنون ، كما فى المسودة الأولى للقصيدة ، أن :

كل الرجال الذين يعرفون ، أو يظنون أنهم يعرفون ،

لأنهم شباب كلهم يصرخون بأن حكايتى

رويت وقصتى سبق أن غنوها .

المسودات الأولى للقصيدة واضحة وقريبة من عاطفة يبتس الشخصية قرر أن يغادر أيرلندا « والصغار فى تودتهم » ويسافر إلى بيزنطة ، مدينة الفكر الذى لا يشيخ . الخلود المبتدع ابتداعا ، سيمضى له كى يتحرر من موسيقى الحس ، إنه يصلح لحكام بيزنطة :

خذوا قلبى المريض بالرغبة

الموثق إلى حيوان يحتضر لا يعرف ماهو ،

واحملونى إليكم

فى مشغل الأبدية .

تنوعت قراءاته فى العشرينات . فقد صرف بعضا من نقود جائزة نوبل على شراء مراجع لمكتبته : فاشترى الموسوعة البريطانية ، وموسوعة « الدين والأخلاق » و « تاريخ كمبريدج : القديم ، والقرون الوسطى ، والحديث » و « الصعود والهبوط » لجيبون وقاموس اللوحات الفنية . ورسائله إلى السيدة شكسبير سنة ١٩٢٣ تنوه بـ « التالية وما بعد الحياة » وكتاب بنيان عن بليك و « يولسيس » جيمس جويس ، ومؤلف أوسيندوسكى « وحوش ، رجال وألهة » كان : « كتابا غريبا خصبا ، وحدثا فائقا » قدمه رحالة نصف روسى ، أشير له هنا لأنه يصف بارونا نصف ألمانى ، نصف

روسى ، يحاول أن ينظم تحت حكم الصين ليقاقل فساد الثورة فى العالم . يقرؤه المرء بالتذاد لكنه قد يرى حوادثه غامضة قليلا ومتساوية كأنها فى لا فنجرو . «

أمضى أكثر ١٩٢٤ فى عمله الأخير ، الطبعة الأولى من « رؤيا » ، حين اكتمل هذا راح يقرأ الفلسفة فعلق على كتاب كروس Groce « فلسفة فيكو * The philosophy of Vico . فى هذه السنة بدأت صحته تسوء ووجد أن ضغط دمه عال جدا ، لذا ذهب هو والسيدة بيتس فى تشرين الثانى إلى سيسلى ، وفى شباط ١٩٢٥ إلى كبرى ، ثم إلى روما حيث زارا معبد سيستين Sistine Chapel وصلات الفاتيكان الفنية . فى الخريف حضر فى وريين وزار ميلانو . فى الربيع اهتم بعمله جنتايل Gentile ولخصت له زوجته من بعد La Riforma dell Educazione ، وقرأ من بعد ترجمة ل Teorice generale dello spirito come Alto puro وحين قرأ المؤلفات الفلسفية أدخل مصطلحاتها فى رؤيا . يوضح هذا فى رسالة كتبها فى نيسان ١٩٢٦ إلى السيدة شكسبير ، كتب فيها :

« قرأت عمل وايتهد « العلم والعالم الحديث » وطلبت كتابه « مفهوم الطبيعة » وكتابا آخر له . إنه لايعتقد بلا وجود شئ الكائنات الحية أو العقول Organism or Minds ومخروطات كتبى - وإن لم يكن هناك ما هو (مؤكد) بصورة شئ يستوطن الفضاء « إلا العقول - وما نسميها أحيانا فيزيائية (مادية) من أى الأنواع كانت لما هى أوجه aspects أو صور vistas ... »

فى مارس جاء بكتابين إلى البرج هما : بودلير وترجمة ماكيننا لـ بلوتينوس . كان بلوتينوس ، كما يظن ، من أكثر الناس نباهة وروعة . سعد ماكيننا بسماغه إعجاب بيتس :

« تشجيع آخر : قال لى صديق أن بيتس جاء إلى لندن ، تطلع فى مخزن الكتب ، وفى الحال طلب طبعة بلوتينوس الجديدة ، وقرأ هنا وهناك واستمر فى قراءته حتى أنهاه (هو فعلا يمتلك عقلا كبيرا ، كما نعرف) والآن هو يبشر بـ بلوتينوس بين الدوقات حواليه . أخبرنى صديقى أنه ينوى أن يخصص الشتاء فى دبلن لقراءة بلوتينوس . »

* فيلسوف وقانونى إيطالى (١٦٦٨ - ١٧٤٤) ، أثر فى فلسفة هيغل ... المترجم .

أعاد القراءة . وهذه القراءة كانت وراء ملاحظته عن المقطع الثالث فى البرج التى قدمها إلى طبعة كوالا ، والمؤرخة فى ٧ تشرين الثانى ١٩٢٥ ، حيث صحح فيها بيتس ، على مخطوطته تلك ، نبذة لأفلاطون وبلوتنيوس باقتباس من ترجمة ماكينا للايلياذ الخامسة . لقد نسى وهو يكتب القصيدة « أن شيئاً فى عيوننا يجعلنا نراهم كما نراهم كما نرى التفوق كله . »

استمرت رسائله إلى سترج مور والسيدة شكسبير معنيةً بالفلسفة . مع الأول واصل مراسلات طويلة لأن سترج لايفكر بأن المطلقات يمكن أن تكون مسلمات بالقراءات الفلسفية واضح فيها ، كما فى نماذج من رسائله التى كتبها فى تموز ١٩٢٦ :

« أنا فى صحة أفضل مما كنت ، وأنا أعتقد فعلاً بأنى مدين بها إلى بلوتنيوس قدر ما أنا مدين إلى البرج . تدريجاً سأقرأ مؤلف شبنجلر « صعود وسقوط الغرب »* وأقارن فكرة العام بفكرى فى « حماسة ويجعة » فبينما كان عمله الأول يطبع سنة ١٩١٨ ، كنت أرسم الخطوط وأفكر فى مخطط عملى كله . وهناك مراسلات دقيقة بيننا متتالية التواريخ . لم يترجم الكتاب إلا بعد أن نشر كتابى . وإلا لما ألفت كتابى ... »

فى أيلول كان يقرأ كتاب كروس فلسفة العملى (أو الفلسفة التطبيقية Philosophy of Practical) ويكتب أشعاراً :

« أقرأ كروس ومن يماثلونه كى لا يرتبط بالداروينية - لأن كروس نقيض أفكار (داروين) من نواح عدة أكثر وضوحاً (ذكى ؟) هكذا أجد موقعا - طاقة لاتشيخ . »

برز إحساسه بالشكل فى اختياره لأفلاطون وأرسطو ، لأنهما يفيدان فى ربط فكرة القصيدة أكثر . فى مسودة أولى ، كتب :

قيصر ، أوغسطس اللذان صنفا كل القوانين
ونظما القرن .

أفلاطون الذى تعلم الهندسة وكان الأعظم فى معنى الروح ...

* ترجم إلى العربية بعنوان تدهور الحضارة الغربية ... المترجم .

وحسب أرسطو أنه كان :

الأول الذى أوجد مكانا لكل شئ .

وجاءت فكرة جلده الاسكندر لكى يستخدمها بيتس مثلا للرجال الذين يوافقون مزاجه الفلسفى . وفكرة المدرسة عن الشباب والعمر ، التى تسرى فى القصيدة . وهذه نتيجة لها معنى ساخر مكثف . فالتناقض بين شباب الاسكندر الذى لاحول له ، وعظمة المستقبل لايساعد نظرية بيتس بأن على كل المشاهير أن ينتظروا كبر السن لتأتيهم الشهرة ، إن هذا فعلا « شرك للغزاة » .

كان الحب يراود فكر بيتس باستمرار ، لكن هذه السنة ، سنة ١٩٢٦ ، أكثر فترات عمره إبداعا . فى رسالة مكتوبة إلى السيدة شكسبير فى آيار (تلك السنة) يكشف عن العواطف العميقة التى تتخلل معظم قصائد تلك السنة :

« عزيزتى أوليفا : نحن فى برجنا وأنا أكتب شعرا كما هو الحال دائما هنا ، وكما يحدث دائما ، لايهم كيف أبدأ ، فالقصيدة تصبح « قصيدة حب » قبل أن أنتهى منها . كثير من الموضوعات فى رأسى بينها قصيدة عن المسيح وهو يلتقى بعبد ديونسوس على سفح الجبل - لاشك بأن هذا سيصبح شعر حب أيضا ... يشعر المرء أحيانا كأنه يستطيع بلمسة أن يوصل رؤيا - ذلك أن الرؤيا الصوفية والحب الجنسى يستخدمان الوسائل ذاتها ، إنهما متعارضان لكنهما متماثلا الوجود (لا أستطيع تهجى الكلمة ولا قاموس فى البيت) .. أمزجتى تملؤنى بالدهشة بشئ من الخوف . فى اليوم التالى وجدت فى كول تكرارا لرسم ، رسم شاين فانتين يتدفقان حماسة سوفسطائية . دخلت الصورة بين أحلامى وأحدثت ضجة هناك . مع ذلك أشعر بأن الأشياء الروحية هى القريبة جدا منى . أظننى سأكون قادرا على (التعامل) مع أجزاء بعيدة عن النظام يصعب لمسها فى « رؤيا » . أفترض أننى كلما ازددت عمرا ازددت لاشخصانية ، إنى لا أحتاج إلى شئ ولا أبحث عن شئ فى نفس أحد - فى الأقل قد تكون الحال كذلك » .

فى تموز أجاب طلبها . بعض قصائد الحب التى كتب ، لم يرسلها قبل هذا التاريخ لأنها كانت بحاجة إلى مراجعة :

... عصر قلبي

مظهرها المنشغل

وتذكرت التوحش الضائع

بعده . انزحت من هناك

وقصدت الأشجار

لأقف أمام أرنب ميت .

لعل هذا هو رد الفعل لزواج أيزولت من فرنسيس ستيوارت الذي كتب عنه قصيدة أكثر قتاما وذلك فى سنة ١٩٣٦ إذ علم (بذلك الزواج) :

فتاة عرفت دانتى يوما

تعيش لكى تلد أطفالا لبليد .

والأبيات التى فى « أسرار الشيوخ » ، القصيدة التاسعة :

لا أحد من الأحياء اليوم

يعرف القصص التى نعرف

أو يقول الأشياء التى نقول

قد يكون فى هذه الأبيات الرد الأفضل على أية محاولة تبعد خطوط سيرة حياته عن هذه القصائد . أهميتها تقع فى الحماسة التى يعيش فيها الشاعر مع ذكرياته وفى اللغة الواضحة التى استطاع فيها إعادة أسرار تلك العواطف (عواطف تلك الذكريات) والتعبير عنها بواقعية مرة وخشنة :

الأولى ، قبل كل القبيلة نزلت هناك

ونالت المباحج -

المرأة التى أسقطت هكتور العظيم

ودمرت كل طروادة -

وهي التي صاحت بهذى الأذن ،

« اجلدنى إذا ماصرخت » .

« إنها جزء من سلسلة كتبتُ (فيها) عن هياج أحزان رجل شيخ على الشباب والحب ، والقصائد التي طلبتها منى جزء من سلسلة قصائد تتكلم فيها امرأة أولاً فى شبابها ، ثم فى شيخوختها »

هذه القصائد جمعت تحت عنوانين « الرجل شاباً وشيخاً » والمرأة شابة وعجوزاً . فى ذكرى تأثير جمال مود فيه :

ابتسمت وغيرتنى

تركتنى متبلدا

والثانية « كرامة إنسانية » وهى عن تأثير حزن قلبه الذى أخفق فى أن يضيفه عليها :

مثل القمر حنانها

إن كنت أسمى حنانا ما ليس له معنى فيها

لكن ذلك هو الشئ نفسه للجميع .

القصيدة الرابعة « موت الأرنب » استمرار لفكرة « أغنيتان عن أحرق » إذ أهمل ، فى حياته الزوجية سعادة أيزولت ، ثم خاف من أن يكون الأرنب قد هرب من رعايته ، لكن الآن :

عصر قلبى

مظهرها المنشغل

* فى الأصل استخدم الشاعر old للاتنين وفى العنوانين وقد رأينا الاستفادة من مزايا العربية فكان الذى كتبناه .

** فى الأصل no comprehension in't وقياساً على فهمنا لبيتس ومودجون ثبتنا ذلك المعنى وتجاوزنا قليلاً فى الترجمة . فهو كان يراها لاتفهم عواطفه أو سره ... المترجم .

وتذكرت التوحش الضائع

بعده انزحت من هناك

وقصدت الأشجار

لأقف أمام أرنب ميت .

القصائد المختلفة فى « الرجل شابا وشيخا » نشرت لأول مرة فى أكتوبر بلاست October Blast وقسمت فى نشرها إلى مجموعتين تحت عنوان « الريفى الشاب » و « الريفى الشيخ » . وهذه حقيقة تكشف أن بيتس كان يتتبع الكلام النابض بالحياة الذى يتعلمه من ليدى جريجورى ومن فلاحى جالوى Galway . هناك سطور فى رسالة مكتوبة فى أيار ١٩٢٦ إلى السيدة شكسبير ، تبين - بعيدا عن الصورة المسلية التى تشير إلى ترفع بيتس - أنه كان يستعمل أسلوبهم الملون فى الكلام .

« شحاذ عجوز راح ينادى - أعرفه منذ عشرين سنة زمارا متجولا ، لكنه الآن مشلول ولا يستطيع أن يعزف . كان يأسى على الدور المحروقة والخالية : « الأشراف أبقوا السترة على ظهري والثلن فى جيبي ، ولامرة ، فى هذه الخمسة والأربعين سنة التى ألقيت فيها فى الطريق ، طلبت قرشا من فلاح . »

أعطيته خمس شلنات ومضى خلال المطر إلى أقرب بلدة . استلطفته ، آخر مرة منحتة (شيئا) ، كانت فى كول وقد بدأ هو الحديث بأن قال للسيدة جريجورى :

سيدتى أنت فى شتاء عمرك ، إنهم هناك جميعا مفعمون بالرتاء ويستفيضون فى الكلام ولهم طريقهم الواضح » .

أخذ بيتس عبارة « شتاء عمرك » وأدخلها فى « بين تلامذة المدارس » وكتب عن الرجل « ذى الستين شتاء أو أكثر » ، كما ستظهر استفادته الكاملة من أحاديث ناس الريف ونواديرهم فى قصائد « جين المجنونة » التى أنشأها على أساس من حديث امرأة عجوز قرب بالليلي .

« المرأة شابة وعجوزا وسلسلة القصائد المرافقة لها . كما كتب بيتس إلى السيدة شكسبير عن أحد مقاطعها ، « ليست بريئة جدا » وهنا يخطر فى الذهن تعليق ف.ر. هجنز عليها :

« كانت له حالتان من الشعر حسب . واحدة بسيطة ، ساذجة أو فضائحية والأخرى ثنافية ، غريبة أو رؤيوية . »

لقد ظهر من هذه القصائد أدبه الغريب فى الحب والتسجيل المباشر الأول لأن بيتس عن فرجوس فيتزجيرالد . ومعظم هذه القصائد تخلط المفهوم ، الذى يبدو محسوما ، فضيلة الحب بعناصر (القصيدة) الجسدية الأكثر مباشرة :

أوه ، هنالك حكمة

فيما قاله الحكماء ،

لكن أرح ذلك الجسد برهة

وأخرج ذلك الرأس

حتى أقول للحكماء

أين يرتاح الانسان

فى حزيران عاد إلى دبلن ، مايزال يعمل فى « المرأة شابة وعجوزا » ويتيسر له وقت لكتابة رسالة شخصية :

عدنا ، تمتعنا أياما فى الهدوء الشامل ، لا أطفال ، لا تليفون ، لامنادين ، لا أصحاب . ليس غير كلب كبير أبيض بوجه مثل وجه الأمير كونسورت . أو مثل نحت لرأس من منتصف العهد الفكتورى - قادر على الخطأ لا على الخطيئة . أكتب شعرا وأقرأ هيجل وكلما قرأت أكثر اقتنعت أكثر بأن أولا الناس الغامضين يعرفون كل شئ . »

سلسلة القصائد هذه أكملت فى أيلول ، كتب بعدها « الإبحار إلى بيزنطة » ، « من أجل أن أستعيد أرواحى » . فى الخريف كان فى لندن ، وعاد إلى دبلن فى تشرين الأول . كتب إلى السيدة شكسبير أنه حينما ذهب إلى لندن كان قد أنهى قصيدة يناشد فيها « القس » فى النار المقدسة .

فى لندن ذهبت إلى وسيط يدعى كوبر Cooper وأعطانى الوسيط كتاب اختبار ، الكتاب الثالث من الرف السفلى الأيمن ، اقرئى الصفحات ٤٨-٨٤- فأننا لم أنظر لها إلا هذا الصباح - كان الكتاب هو « الرقم »

رقيم ٨٤ دخول دانتي النار المقدسة المطهر - الأنشودة ٢٧ -
الرقيم ٤٨ ، الأفعوان يهاجم فاني فوخي Vanni Fuchi . تابعتها عند
دانتي فوجدت أنها تحترق رمادا ، ثم تعود (فوخي) تخرج من رمادها ،
وهي ترمز إلى نار الدنيا Temporal fire . الوسيط أكثر من عرفت
غبا ، وأكد أن المعرفة ليست في رأسى . بعد هذا ، وكل الذى مر من
قبل ، يجب أن أستسلم - فإذا ماتركنا العقل المظلم ، فسنظل بالتاكيد
نمتص من ضروع الأبدية . كم حسن أيضا أنها تضع مزاجى الخاص
بين الإثارة الروحية والعذاب الجنىسى . معرفة يتلازم فيها هذان الاثنان ،
إنهما عينا بياتريس - بياتريس التى مانالها دانتي بعد خلودها -
جعلناه (تلكما العينان) يخاطر فى النار مثل طفل يغرى بتفاحة . يلى
ذلك مباشرة « الفردوس الأرضى » - وبياتريس السماء ، لكأن روحى
أسس تنبأت باكتشاف اليوم ، أعدت كتابة قصيدة بسيطة بالية الأفكار
عن شبابى اسمها « حلم الروح المباركة » .

ثم أسميتها « الكونتيسة كاتلين » ، أن ... ها تقريبا قصيدة لتلامذة المدارس .

أكمل بيتس ترجمة أوديب ريكس لسوفوكليس ، التى استخدم من أجلها عدة
ترجمات منها ترجمة الفرنسى مسيو باول ماسكرى وقد مثلت هذه فى الـ « أبى » ، فى
كانون الأول ١٩٢٦ . وفى الوقت الذى كان يعمل فيه فى « الرجل شابا وشيخا » كتب
رسالة أخرى إلى السيدة شكسبير فى ٧ كانون الأول ، يكشف فيها عن ردود فعله
الشخصية للموضوعين :

« ... كان احتمال سلسلة أخرى من القصائد عن الرجل الشيخ وروحه
وهو يقترب من فهم أن الجبال ليست صلبة وأن كل مايراه هو خط
حسابى مرسوم بين الأمل والذاكرة . مهما فعلت يظل الشعر عذابا .
ترجمتى لأوديب تجرى بسرعة . أظن أن شكل كلامى هذا سيثبت قوته
على المسرح وإن جعلته بالزخرفة ، صلبا ويبدو طبيعيا مثل سرد قصة
بطولية . إنه لا يقدم فى التمثيل جيدا فهو كله جديد على ناسنا . إننى
قلق جدا على الجمهور الذين يتوجب عليهم أن يظلوا مشدودين إليه
ساعة ونصف الساعة . الممثل الذى يؤدى دور أوديب تعب كثيرا فى
غرفة تغيير الملابس بحيث أجهده التمثيل فى اللحظات الأخيرة . نعم
الجمهور الجيد يمنحه حياة ، ولكن كيف سينظر له هؤلاء الكاثوليك ؟ لقد

أحس هو بالحضور الفعلى وأحس بأسرار الآلهة المفزعة أما أنا فعرفت القوة الدائمة التي ماعرفتها من قبل فى الدراما الأغرريقية . »

حققت المسرحية نجاحا ، وفى آذار ١٩٢٧ ، كان بيتس منشغلا فى ترجمة أوديب وكولونوس ، مستفيدا من الترجمة السابقة ، أرسل بعضا من أجزاءها إلى السيدة شكسبير مع ملاحظة بأنها أنجزت بفرح . كان فى حال جيدة ، نشيطا وبصحة أفضل . فى بداية تشرين الأول ، كتب رسالة يقول فيها أن أوديب (فى كولونوس) كان « مسكونا » :

أرسلتُ نسختان مطبوعتان على الآلة الكاتبة إلى الناشر وقد شطت فى البريد ، مما أوقف النشر لأشهر . بعد أسبوعين ، السيدة ب - دعت امرأة لتقابل جورج الذى طلب المقدمة ، سبب ذلك عند التمثيل الأول للملك (أوديب ريكس) قبل سنة رأت المرأة جورج وقالت له :

أولا خذنى من كتفى ثم قبلنى - لم أقل أن شيئا من هذا قد حدث - ولكنها أصرت - فدخل جورج الغرفة - التى أشارت إليها ولكن تلك لم تكن المرأة . ثم كان هنالك كاتب وهمى .. فى أثناء « كولونوس » ، كان يثيرنى وجورج نباح كلب عال فى الصالة - وعجبنا أن أحدا لم يضحك . خرجت بعد المسرحية لأعرف من جاء بذاك الكلب . شخص بعد آخر قالوا إنهم سمعوا الكلب . ثم سمعت أن شخصين آخرين سمعاه فى مكان آخر . وأنا سمعت الكلب ينبع وسط تمثيل الملك قبل أن يكتشف واحد من مجموعتنا ، أنه كان يمثل سر بروس ، ولا يزعم أوديب نباحه . الجماعة ظنوه كلبا بقى يتضور جوعا فى المسرح أثناء غلقه لمناسبة الصيف .

يبدو أن القصائد تزعج الأرواح - كنت مع كوكارتى Cogarty أقرأ عملى كالفارى Calvary * وأتيت إلى وصف (بعث ؟) العازر انفتحت الباب كأن عاصفة ، ولاريج هناك بل شبح العائلة فى قوته ونشاطه . من كل ذلك ترى أنى ما أزال مع وجهة النظر التى تقول بأن العقل الجاد المتبحر يمكن أن يهتم اهتماما بسيطا بموضوعين مثل الموضوعين اللذين اهتم بهما - الجنس والموتى . »

* فى الأصل الأيسر المكان الذى صلب فيه المسيح ... المترجم .

تلك الفرق الهوائية العازقة تجمع في يديه

شعرا أيسه النثار :

« انقلب إن استطعت من معركة لامثيل لها ، »

ناديت وهم يرون جوارى واحدا بعد آخر ،

هو الخطر ولا ملجأ لك ، وهى حرب لاسلام

لذلك الذى يحمل أغنية حب قلقا جوار

موقدها الذى كُنس تماما رماده ،

جوار ظلها الساكن

لكن ذلك كله تجمع للذى لم ينسج له الحب صمما

أو جاء ليرمى أغنية فى الهواء ،

ليمر مغنيا ،

يبتسم فى الفجر الشاحب ويلتقيك

أنت الذى بذرت أكثر من مطر أو ندى

أو شمس أو قمر ،

وعلى الأرض ، تنحسر فى تجواله أو يمر

بمرح ساطع النجوم ،

أو يأتى ضاحكا من بين شفتى البحر الحزيتين

تنتقل معارك الله فى السفن الرمادية الطوال

الحزينة ، المستوحدة ، الجشعة

ستلقى لليالى بأسرارها ،

جرس الله دعاهم بصرخة صغيرة
صرخة عن قلوبهم الحزينة ، تقول
بأنهم قد لا يموتون ولا يحيون .

منذ تموز ، بدأ بيتس بكتابة ثلاث قصائد هي : « موت » ، « الدم والقمر »
و« حوار النفس والروح » . القصيدتان الأوليان بدأ بهما وقت اغتيال « كفن أو هجنز »
أحد وزراء حكومة الدولة الحرة وصديق بيتس . فى رسالة غير مؤرخة ، أخبر السيدة
شكسبير كيف أنه والسيدة بيتس سمعا موسيقى صاخبة وغناء بينما هما يدخلان
بيتهما تلك الليلة قبل حادثه الاغتيال ، وقد ميزها موسيقى قداس لبت . فى « موت »
كشفت عن تلك الكبرياء التى أدت إلى حوادث * هينجز ، قال الوزير (هينجز) لزوجته :
لا يتوقع العيش ذلك الذى فعل ما فعلت .» . وكتب بيتس :

رجل عظيم فى كبريائه

جابه رجالا قتلة

فقدف بسخريته على الأنفاس العالية

هو يعرف الموت حتى العظم

رجل خلَقَ موتًا .

« الدم والقمر » بدأت تحت شعور قوى بحادث الاغتيال - وحين سمع بيتس
بالحادث رفض أن يأكل وأمضى مساءه يتمشى فى الشوارع حتى هبوط الظلام - كان
فى حالة تمجيد لتلك الكبرياء التى وجدها فى الأصل الأنجلو - أيرلندى الذى ساد
الوطنيين الغالين وسمق فوقهم كالبرج يظل تحتها الأكواخ الصغيرة التى ضربتها
العاصفة . لقد رفع شعار السخرية ، فالبرج لم يُسَقَّف أبدا حسب الخطة الأصلية التى
وصفها « لوتنز » ، لكن هناك سقف أسمنتى كان البرج به :

نصف ميت عند القمة

* هكذا فى الأصل بصيغة الجمع - ولعله يشير إلى جملة حوادث شغب بينهما حادثه الاغتيال ... المترجم .

يتضح معنى هذه السخرية أكثر ونحن نقرأ المقطع الثانى الذى هو أكثر امتلاء بتمجيد الشخوص الأنجلو أيرلنديين الأربعة العظام ، والذين ظهروا لبيتس ، وهم : كولد سميث ، سويفت ، بركلى وبيورك Burke ، اغتيال أوهينجز نقل واحدا من الشخوص الذين رأهم بيتس من أيرلندة الجديدة إلى (ذلك) التقليد الأنجلو - أيرلندى القديم :

« الجماهير الأيرلندية غير واعية وسهلة الإثارة لأنها لم تنظم حتى الآن ولم توجه ، وإلا فنحن لنا دماء حميدة كما فى أوربا . بيركلى ، سويفت ، بيورك ، كراتان Grattan . بارنل ، أغسطس جريجورى ، سينج ، كفن أوهينجز ، هم الأيرلنديون الحقيقيون ولا شئ يصعب جدا على أمثالهم . »
عن الوزراء ، كتب :

« يبدوون رجال براعة ونباهة فطرية ، رجالا وفروا الكراهة . ليس فى عقولهم مسرحية يمكن أن يمثلها عقلى ، فأنا لا أستطيع معرفتهم . أحد المرموقين قال أنه منذ زمن يريد الاكتفاء بى ، والتقىنا . لكن حديثى صدمه وحيره كلا ، لا لو كارتى ولا أنا باعتيادنا الحديث الجريئ ، يمكن أن نقرب من هؤلاء الرجال .

مع أن أحفادهم إذا اعتنوا جيدا فسافروا وارتاحوا سيكونون ناسا مكتملين ، سوف يكونون طبقتنا الحاكمة ، ويؤرخون أصلهم من دائرة البريد كما تؤرخ العوائل الأمريكية أصولها من زهرة أيار May flower . »

المقطع الثانى من القصيدة قطعة بارزة من قدرات بيتس ، تؤكد الميزات الأساسية التى يحب ، وانتباهاته فيها جديدة ونافذة :

سويفت يلطم صدره لطم

كاهنة عمياء محتدمة

فالقلب فى سورة دمه جره إلى البشر

وكولد سميث مختارا يرشف من دورق العسل فى عقله

لقد فهم أن أولئك الرجال كانوا أيرلنديين مثلما كان هو أيرلنديا ، وقد تسلق سلالاته بفخر :

أعلن أن هذا البرج رمز لى ، أعلن
أن هذا السلم الدائرى اللولبى الصاعد
كولد سميث ذاك والعميد بيركلى
وبيورك مروا من هنا .

ظلوا يشغلون فكرة سنوات ، وهم يظهرون غالبا فى كتاباته . بدوا كأنهم يحملون المزايا
التي يعتبرها « لا أنجليزية » ولذا فهو يلتقط التفاصيل التي تهمة من هذه الناحية :

« وقد ولد فى مثل تلك المجموعة بيركلى ومعتقده فى الإدراك ، تلك
الأفكار المجردة هى كلمات حسب ، وسويقت وحبه للطبيعة الكاملة ، ولال
هوينهام ، ولا إيمانه بأفكار نيوتن وألته ، كولد سميث وبهجته فى غرائب
الحياة العامة التي صدمت معاصريه ، وبيورك ومعتقده بأن الدولة لاتنمو
ببطء مثل شجرة الغابة ، أولئك فحول أوجدوا فى انجلترا نقيضا ،
فالتقطت هى أفكارهم وعبرت عنها وأوضحتها . »

وصفه لبيركلى ، إن لم يكن مهما فلسفيا ، فهو وصف فائق :

« والمختار من الله بيركلى الذى أثبت أن كل الأشياء حلم ، وأن
« خنزيرة » العالم البرغماتى ، المنافى للعقل ، يجب أن يختفى
خنوصها ، ذلك الذى يبدو من بدايته قويا ، هذا إذا ما أراد العقل
أن يغير أمره . »

المقطع الثالث من القصيدة ينتهى بقسط من الحكمة للموتى ، والسلطان ، ومثل
أى شئ عليه لطفة دم ، يصل إلى الأحياء :

لكى لا لطفة

يمكن أن تحمل على وجه القمر

وقد تخلص بهاؤه من السحب .

فى « حوار مع النفس والروح » يصل ذروة « البرج » ، هناك تدعوه روحه إلى
الصعود ، فى مقطوعة مثقلة ، بغموض الليل :
من يستطيع التمييز بين الظلمة والروح ؟

قد يبدو من هذا أنه يضع مشهد البحث بعد الحكمة لكننا نتذكر أنه حينما كان ينظر بحسد إلى الجود الشبان ، استدار إلى البرج ، ثم إلى رمز الحكمة ، قرر أن الحكمة يجب أن تقف بوجه أحزان العمر والأسف على الحب والشباب ، وأن عليه أخيرا أن يتلاشى في الحقيقة ، كانت هناك الحقبة السعيدة زمن بيتس الحائز على جائزة نوبل والشاعر وعضو مجلس الشيوخ ، ورجل الأحداث ، الزمن الذي جمع فيه المتناقضات الصعبة . أخيرا سين أوفاولاين Sean Faolain وهو يتحدث عن « رؤيا » التي كان يهيؤها ، قال له :

« البعض يوحد فلسفته مثل شمعة في غرفهم

المظلمة ، أما أنا فسأخرج للعالم أحمل

ضوئي مثلما أحمل مصباحا يدويا .

لكن تلقى « رؤيا » ذكره بذلك الحصى الذي كان يرميه في البئر حينما كان طفلا ، حيث نثار الماء بعيد وناعم وضئيل . هي مرحلة من النشاط المتوازن والمتأمل ما استمرت مع بيتس . قناعته أدت إلى تكثيف كل من هذين الطرفين كثيرا . « الإبحار إلى بيرنطة » و « البرج » كانتا صلاة متوهجة للحكمة ، صدى أقوى من الأحلام الأولى ، التي راح يبحث عنها في وحدته ، بعد تغلبه على رغبته الجسدية . الآن ، بمزيد من القناعة توقف عند تناقض هذين الطرفين في الفهم المعاصر . إن ميل الروح لحكمة البرج يتقاطع وانشغال النفس بسيف ساتو :

رمزا للحب والحرب

لقد اكتمل الطرح ويمكن أن يكون مستمدا من حوار مبكر لـ مارفل عن النفس والروح ، لقد تواصل إلى آخر ماتراه النفس . كان يسخر فرحا وهو يكتب للسيدة شكسبير ، في أيلول ، أن البرج ، كما نشرته داركوالا بطبعة محدودة من « أكتوبر بلاست October Blast في حزيران الماضي ، كان نجاحا :

« متطلع لكنى استيقظت فجأة من قنوطى فوجدت نفسى أصلى بين النوم واليقظة ، ثم رأيت مفتاحا ، ثم طريقا طويلا بين جدران بيض ومن هناك وخلال ممر ليس جيدا في غالبه استعدت فرحى مرة أخرى . لاحظت دائما أن التغيير يتأتى من تشكيلات في الكلمات تُستخدم عادة بخفة . أظن أن الكلمات أصبح على الزداد بينما البندقية محشوة تنتظر . »

فى مثل هذا المزاج تفحص بيتس كل ماضى حياته بشئ من الاندفاع والتهور . فمع القوة يحس بالحلاوة ، ويستعرض كل حماقاته ليقول بفخر أنه سيعيشها كلها مرة ثانية :

أنا مقتنع بمتابعتها إلى منبعها
كل حادثة فى الحياة أو فى الفكر ،
أحسب أحسب الكثير وأعفر لنفسى الكثير
وأنا أبعد عنى الكثير من النوم ،
يجرى الكثير من الحلاوة فى صدرى
واجب أن نضحك ونغنى
مباركون نحن بكل شئ
وكل شئ ننظر إليه مبارك .

فى أيلول ذلك العام ، قدم له الأمريكى دبليو . أى روج W.W. Rudge ثلاثمائة باوند مقابل ستة عشر صفحة من شعره يقدمها له بيتس خلال ستة أشهر . و « روج » هذا يملك مطبعة خاصة فى نيويورك :

« تسلمت حوالى نصف المبلغ . وافقت وكتبت ١٥٠ بيتا فى شهرين . كتبت هذه الأيام ٥٠ أو ٦٠ بيتا . فدفعت ١٥٠ باوند . أعطيته « المرأة شابة وعجوزا » وقصيدة اسمها « الدم والقمر » من قصائد البرج ، وقد كتبتها قبل أسابيع . أكتب الآن قصيدة برج جديدة ، هى « سيف وبرج » فيها اختيار لإعادة ميلاد بدلا من التخلي عن ميلادى * . جعلت فيها سيفى ، بغمده الحريرى ، رمزا لحياتى . »

بالرغم من مرضه ، صحح بروفات « البرج » لطبعة ماكميلان ، وأكمل قصيدة للسيد روج . فى رسالة منه يؤكد على عنصرين فى البرج : مرارته وقوته . كان يجب عليه أن يضيف : امتلأه ونضجه ، أيضا .

* فى الأصل ميلاد ، وقد أضفنا ياء النسب لإيضاح المقصود بقوله كما يتبين من بقية الكلام ... المترجم .

« البرج نجاح ، ألفا نسخة فى الشهر الأول ، أكبر مبيع عرفته . لا أفعل شيئاً فى الوقت الحاضر غير أن أتابع طبعة جديدة من « رؤيا » ، التى يجب أن تكون جاهزة فى العام القادم ، أمل ، إذا عدت إلى رابالو Rapallo ، بالعودة لكتابة الشعر – لكن لامزيد من العواطف المريرة ، حسبما أظن – وأنا أعيد قراءة « البرج » تدهشنى مرارته فأتوق للعين خارج أيرلندا لعلى أحظى بنتاج جديد مختلف . مع ذلك ، فتلك المرارة منحت ذلك الكتاب قوته ، فهو أفضل كتاب كتبت . لو كنت بصحة أفضل لارتضيت أن أكون مرا . »

نورمان جيفرز Norman Jeffers

قصائد مختارة

www.alkottob.com

www.alkottob.com

وردة السلام

ميخائيل قائد ضيافة الله
فى ملتقى الفردوس والجحيم
إذا نظر إليك من عمود باب السماء
فسينسى أعماله .

لم يفكر بعد بحروب الله
فى بيته المقدس ،
بل سيمضى يغزل النجوم
أكليلا لرأسك
سيرى كل القطيع ساجدا
والنجوم البيضاء تروى ثناءه
سيتجه أخيرا إلى بلاد الله العظيمة ،
تقوده إليها طرق ناعمات .
سيرجو الله أن تهدأ متاعبه
أن يقول لكل الأشياء كونى خيرا
وبلطف منه يصنع سلاما ورديا
هو سلام الفردوس والجحيم .

وردة العالم

من حلم بأن الجمال يمر مثل حلم ؟
متحسرا على تلكما الشفتين الحمراءين وكبريائهما ،
متحسرا ألا أعجوبة جديدة تحدث .
طروادة مرت تحت ضوء مقبرة عال
ومات أطفال الأوسنا .

نحن والعالم الكادح نمر :
بين أرواح ناس تهتز وتترك مكانها
مثل تلك المياه الشاحبة وهي في سباقها الشتائي
تحت النجوم العابرة وزيد السماء ،
مثلها ، تعيش الحيوانات على هذا السطح المعزول .

انحن أيها الملاك في مقامك القاتم
فقبل أن تكون ، قبل أن يخفق أي من القلوب ،
متعبا وتشققا توقف واحد جنب مقعده
وجعل العالم طريقا معشبا
أمام قدميها الجوابتين .

وردة المعركة

وردة الورود ، وردة العالم كله !
ياأشرعة نسيج الفكر الطويل ،
تلك المنشورة خفاقة فوق مد الساعات
أربكت الهواء ،
فيقرع جرس الله من أجل عناية الماء
وقد سكن من خوف أوضح بأمل ،
وردة كل الورود ، وردة العالم !
أنت أيضا جئت من حيث الأمواج المعتمة تتسارع
متتالية على أرصفة الأسي ، وليسمع الجرس
داعيا أيانا ، نسمع ذلك الشيء البعيد الحلو .
الجمال يحزن بخلوده .
المصنوع منا ومن البحر الرمادي القائم .
سفننا الطويلات ، تفقد أشرعتها التي من نسيج الفكر ،
وتتنظر
لأن الله أراد لها أن تشارك بقدر مساو
وحيثما دحرت أخيرا في حرابه ،

غادرت نازلة تحت النجوم البيضاء نفسها ،
ولن نسمع بعد قلوبنا الحزينة
تصرخ صرختها الصغيرة
بأنها قد لآتموت ولا تحيا .

الكونتيسة كاثلين فى الفردوس

كل الأيام الثقيلة انتهت ،
دع أبهة الجسد الملونة
تحت العشب والطين
والأقدام تطأ الثرى حواليه .

وقد غسلتها ينايع الواجب
فلن تطلب ثيابا باذخة
احملوا ذلك الجمال المدخر

إلى حشد السنديان الشدى .
بين أقدام الملائكة السبعة
أى راقص يتوهج !
كل السموات تنحنى إلى الفردوس
لهبا للهب وجناحا لجناح .

حين تكونين عجوزا

حين تكونين عجوزا ، شعرك رمادى ،
ممتلئة أجفانك بالنوم ،
ويتهادى رأسك جنب الموقد ، خذى هذا الكتاب
واقراى متأنية واحلمى بتلك النظرة الناعمة
التي كانت لعينيك يوما ، وظلالهما العميقة
وكم كانت لحظات فرحك ، وجمالك المحبوب .
لقد أحب كثيرون فتنك حبا
صادقا أو كذوبا
لكن رجلا هناك أحب الروح المهاجر فيك
وأحب أحزان وجهك المعبر .

عندما تنحنين جوار القضبان المتوهجة
تتدمرين بشئ من أسى كيف انتأى الحب ،
كيف مضى يسرع الخطى على الجبال العاليات
وأخفى وجهه فى زحمة النجوم .

من « الغابات السبع » ١٩٠٤

لعنة آدم

جلسنا معا فى نهاية صيف ،
وتلك المرأة الجميلة الرقيقة ، صديقتك الحميمة
وأنت وأنا ، وعن الشعر تحدثنا
قلت ، يأخذ البيت منا ساعات
لكن إذا لم يكن ابن لحظته
فما نخيط ونفتق غير مجد
والأفضل لك الانحناء على عظامك ذات النخاع
أو إزاحة ما على أرض مطبخك أو تكسير الصخور
مثل شحاذ عجوز يجىء فى كل طقس ،
فإن تتصل الألحان العذبة *
يعنى أن نجهد أكثر من كل ذلك ،
ومع كل ذاك ، يعتبرنى متبطلا الصاحب الصاحبون
من صيارفة ومعلمين ورجال دين
من يسميهم العالم شهداء الشعر . «

* فى الأصل for to articulate sweet sounds .

وهنا ستجيب المرأة الرقيقة التي من أجلها
يعانى الكثيرون أوجاع القلب إذ
يكتشفون صوتها الخافت الجميل ،
« أن تكون امرأة ، ستكتشف مالا
تعلمك المدارس - أن علينا بسبب جمالنا
أن نعانى »
أجبت حقا ليس من شئ جيد
مذ سقط آدم إلا ويحتاج عنا كثيرا
هنالك محبون يظنون : حتم على الحب
أن يمتزج كثيرا باللطف السامى
وهم يتحسرون مرددين نظرات تعلموها
وأقوالا من كتب سلفت ،
ومع ذلك فقد صارت تلك اليوم تجارة كاسدة .

جلسنا وقد كبر صمتنا فى حضرة الحب ،
رأينا الجمرات الأخيرة لضوء النهار تموت ،
وفى زرقة السماء المخضرة الراجفة
قمرا مجهدا ، كأنه صدفة
غسلتها مياه الزمان وهى تعلقو وتهبط
حول النجوم ، وتنكسر أياما وسنوات .

فكرت ، لا لأحد غير أن أسمع أذنيك :
أنك كنت جميلة وقد جاهدت
لأحبك بطريقة الحب القديمة السامية ،
وبدا كل شيء بهيجا ، لكننا كبرنا
فنحن متعبو القلب مثل ذلك
القمر المجهد .

أغنية هدراهان الأحمر عن أيرلندا

شجرة الشوك السمراء القديمة ،
تحت الريح السوداء المرة التي تهب من اليسار ،
تنشط اثنتين فوق « كمن ستراند »
وشجاعتنا تنكسر مثل شجرة قديمة
في ربح سوداء وتموت .
لكن الشعلة تخفى في قلوبا عن عيني
كاثلين نفى هوليهان .

الريح خدمت الغيوم فوق « نوكتارا »
وقذفت بالرعد على الحصى بسبب مايقوله مايف
والغضب الذى مثل سحب صاحنة هز أفئدتنا
لكننا جميعا أنحنينا إلى أدنى ، وأدنى
حتى قبلنا القدمين الهادئتين ،
قدمى كاثلين فى هوليهان .

البحيرة الصفراء طغت على « كلوثنابير »

لأن الرياح الرطبة تفلت من ذلك الهواء المتماusk
مثل مياه فيضان تأتي على أبداننا ودمانا ،
لكن أنقى من شمعة طويلة أمام « هولى روود »
هى كاثلين لى هوليهان .

من « مسؤوليات » ١٩١٤

الصخرة الرمادية

يا شعراء تعلمت منهم تجارتي ،
يا صاحب المتدى الأول
هى ذى قصة أعدت كتابتها ،
متخيلا أنها ستسر أسماعكم
أكثر من قصص اليوم ،
وإن ظننتم أنى ألفظ أنفاسى ،
متظاهرا أن فيها عاطفة الحياة فيها أكثر من الموت ،
وفى تعبئة نبيذكم
ليس لـ كويان صحيح الجسد ما يقوله ،
هو مغزاكم لأنه مغزاي

حين تدور الكؤوس فى نهاية النهار -

ألا يعنى ذلك كيف تدور القصص الطيبة ؟

الآلهة جالسون فى المقدمة

فى بيتكم الكبير فى سيلفنامون

يغنون أغنية ناعسة أو يغطون غطيظا

فقد كانوا متخمين نبيذا ولحما ،
والمشاعل الداخنة توهجت ألقا
على معدى كان يطرق كَوَيْل عليه ،
على دحرجة الفضة العميقة القديمة هناك
أو على كأس لم تفرغ بعد
ذلك أنه أهاج فى فورته قواه
خرج يطرق على قمة الجبل .
ليرفع شرابا مقدسا خمّره
وليس غير الإله يشتريه منه .
والآن من تلك العصابة التى منحت الحكمة
لكل الذين حملوا رؤى عيونهم المعتمة
أحدهم جُبلَ مثل امرأة
وبعواطفها ، ركض مرتجفا أمام عيونهم الناعسة
قال :
« اخرجوا واحفروا لرجل ميت
أعبروه مكانا فى الأرض ،
وزوقوه حتى وجهه ثم اهتفوا له
ومعكم فرس وكلب صيد
فهو الأسوأ بين جميع الموتى . »

ستدور رؤوسنا وينالنا الرعب
إذا مارأينا تلك الغرفة
والعيون المحمرة سكرا ، سنعلن مَنْ
أفرغَ كل أيام مستقبلنا
عرفت امرأة ما أسعدت أحدا
فقد حلمت وهي طفلة
برجال ونسوة من هذا النمط
ومن بعد ، حين توحش دمها
نسلت قصة روحها * ، قالت :
« فى ستين أو ثلاث » سأضطر على الزواج
من جلف بائس .
وإذا باحت بذلك ، تفجرت دموعا .

ربما نهضت طيوفكم مذ ارتحلتم يارفاق ألحان ،
فلم يبق منكم غير اللحم والعظام
أمام ذلك الملاء أو مثيله .
تحتم عليكم أن تواجهوا مصائرهم شبابا -
فأما الخمر والنساء أو اللعنة -

* نسلت : فصلتها وأخرجتها ، كقواك نسلت الصوف أو الخيط فى الأصل ravelled .

كان عليكم أن تنظموا أغنية أكثر بؤسا
لتكون محافظكم أثقل وزنا .
مارفعتم الدعاء عاليا لأمر
ليزداد أصدقاؤكم عددا
لقد حافظتم بقوة على قوانين آلهة الفن
وواجهتم مصائركم غير نادمين .
وبذلك نلتم الحق - وإن كنت أمجد دوسون
وجونسون أكثر - لكي تسيروا مع ذلك
الجمع الذي نسيه العالم وقد أمتلكتهم
نظرتهم الشديدة الثابتة .
قالت : طُرِدَت الطوابير الدانمركية
ما بين الفجر والغسق ،
وقد ظل هذا الحدث مشكوكا بوقوعه زمنا طويلا
ومع أن ملك أيرلندا كان ميتا ، وكذلك نصف الملوك ،
فكل شيء أنجز قبل غروب الشمس .
وفي هذا اليوم ، حين خطوة بعد أخرى
انسحب مورو ابن ملك أيرلندا ،
هو وخير عساكره انسحبواظهرا لظهر
حتى هلكوا وكانوا هناك ،
فالدانمركيون فروا مذعورين ،

صعقهم هجوم وصوت لا يرى ،
فوقف مورو ممتنا ، وقدماه الملطختان
بالدم طبعتا أثريهما على التراب حيث وقف
تحت شجرة الشوك
وهو وإن كان حيثما ولى وجهه
ير أشجار شوك ،
فقد نطق :

« من الصديق الذى لا يبدو إلا نسمة
لكنه يهب بنا على الأعداء هجوما كريما ؟ »

وهنا التقت عيناه شابا
قال : « لأنها رعتنى بحبها ،
وحمتنى فما مت
- انبثقت أوف من الصخر وأخذت دبوسا
غرسته فى قميصى
وعدتنى : بهذا الدبوس لن يرانى أحد ،
فيمسنى بأذى
لكن بعد ماجرى ، سأقضى نعمة الحظ عنى
التي صارت على عارا
فأرانى سالما وأرى عليك ياابن مليكى
كل هذى الجراح . »

كان واضحا ذلك الكلام
لكن حين جن الليل ، خذلنى
فرأيت قبره .
هو وابن الملك ماتا .
وعدته ، بمائتين من السنين
وبكل ماقلت أو فعلت -
وما سفحته هاتان العينان من دموع -
أعلن أن حاجة وطنه هى الحاجة الكبرى ،
فانقذت حياته من أجل صديق جديد
تحول طيفا
فما عسى يهيمه انكسار قلبى الآن ؟
هلموا برفش وجواد وكلب صيد
كى نلحق به . «
هنالك نشرت روحها على البطاح
وغيرت ثيابها وأعلنت النواح .

لم هم بلا إيمان وقوتهم من تلك ،
الظلال المقدسة (التى) تحوم فوق
الصخرة الرمادية والضوء العاصف ؟
لم أكثر القلوب إخلاصا أكثرها حبا
للحلاوة المرة فى الوجوه الزائفة ؟

لم يحب الأبدى ماهو عابر
ولماذا تُخدَعُ الآلهة ؟
وهنا نهض كل إله
ومبتسما دوغما صوت مد يده وكأسه
إلى حيث كانت فوق الأرض تنوح
فاستعادها فجأة في إهابها (الأول)
فتذوقت خمر كويان
لم تعد تتذكر ماكان
فهى تحرق بالآلهة بشفتين ضاحكتين .
« لقد وفيت الآن بعهدى ،
وإن حاولت من قبل الوفاء ،
لتلك الصخرة القاحلة ، وللقدم
جوأبة الصخور ،
وقد تغير العالم مذ ارتحلت
فأنا دون اسم كريم
مع الحشد الكبير أمام البحر ،
حشد يظن ضرب السيف أجدى
من موسيقى المحبين - فليكن ذلك ،
كيما تقتنع القدم الجوأبة .

أيلول ١٩١٣

أى حاجة لكم بعد وقد عدتم للعقل
غير أن تجسوا خزاناتكم المزيّنة
وتضيفوا نصف البنس إلى نصف البنس
ودعاء راعشا إلى دعاء
حتى يجف النخاع فى ظهوركم ؟
ولد الرجال ليصلوا ولينقذوا أيرلنده
الرومانسية ، تلك التى ماتت وارتحلت
فهى مع أوليرى فى القبر .

مع أنهم كانوا غطا مختلفا
تلكم الأسماء التى أسكتت لعبكم الطفولى ،
فقد ارتحلوا حول العالم مثل ربح ،
وقد تسنى لهم وقت قصير ليصلوا
من أجل الذين لهم نسج حبل الشنق
وماذا يستطيعون ، أعاننا الله ، أن ينقذوا ؟
أيرلندا الرومانسية ماتت وارتحلت

فهي مع أوليرى فى القبر .
أمن أجل هذا ينشر الوز البرى أجنحته الرمادية على كل مد .
أمن أجل هذا هدر كل ذاك الدم
ومن أجل هذا مات إدوارد فيتز جerald
ويوبرت أيمت وولف ثون ،
وكل هذيان الشجعان ؟
أيرلندا الرومانسية ماتت وارتحلت
فهي مع أوليرى فى القبر .
وهل بعد نستطيع إعادة الزمان
ونستدعى أولئك الذين فى المنافى
وهم فى وحدتهم والهموم ،
إذن لعلت صرخة منكم :
ذلك الشعر الأصفر لامرأة
هو الذى جن به ابن كل أم
لقد خف ثقل ما أعطوا
فدعوهم الآن فى حالهم ، لقد ماتوا وارتحلوا
فهم مع أوليرى فى القبر .

إلى ظل

إن عدت لزيارة البلدة أيها الظل الناحل ،
كى تلقى نظرة على تحفها
(وأنا أشك بأن البناء قد استوفى أجوره)
أولاً أنك سعيداً فكرت وقد انقضى النهار
بأن تشرب من النفس المالح للبحر
ساعة تتجول طيور النورس هناك
بدل الرجال ،
وترتدى الطيور الكثيرة جلالاً ،
فاقتنع بما رأيت ، وابتعد مرة أخرى
فهم مايزالون فى مكرهم الأول .

هل علموا بأن رجلا من نمطك الخدوم المخلص
جلب لهم ملء بديه أفكارا ومنحهم عقلا أسمى
وعاطفة أحلى
تسرى فى عروقهم مثل دم زكى ،
هذا الرجل سيق من مكانه ،
ونزلت عليه لعنة بسبب ماعانى ،
لقد أطلق قطيع الكلاب وراءه

ولحقه العار بسبب انبساط يديه .
عدوك ، الفم الدنس ،
فامض ، لاتستقر أيها الجواب
وليكن قناع كالانزفين وفاء لرأسك ،
حتى يسد الغبار أذنيك ،
فلم يحن بعد وقت تتذوق فيه
النفس المالح للبحر
أنت فى الزوايا تصغى
ولك مايكفيك من الحزن قبل الموت -
بعيدا بعيدا ،
فأنت أكثر سلامة فى اللحد .

الشيوخ الثلاثة

ثلاثة نساك شيوخ يرتاحون
على بحر بارد مقفر ،
الأول يتمتم بصلاة
والآخر يعلى عن برغوث فوق
صخور تعصف فوقها الريح
والثالث

سادر فى سنته المائة
يغنى ولا يرى مثل طير :
« إن كان باب الموت قريب ،
وما ينتظرنى خلف الباب ،
فأنا ، وإن كنت على شاطئ البحر ،
أغفو ثلاث مرات فى نهار واحد
وقت يجب فيه أن أصلى . »

هكذا كان الأول ، والآن الثانى :
« بعد ما انتهت كل الأفكار والأفعال ،

أعطينا ماكسبنا ،
فواضح الآن إن مانراه
هو ظلال الرجال المقدسين الذين أخفقوا ،
وقد كانوا ضعاف الإرادة ،
ظلالهم الآن تجتاز باب الولادة ثانية ،
وقد أهلكتهم الجموع ، فكبرت رغبتهم بالرب . «
وأن الآخر . « لقد ألقوا بحال مرعب »
فسخر الثاني من أنيته :
« لقد تغيروا إلى هذا الشيء وذاك
أحبوا الله مرة ، وربما كان حبهم لشاعر
أو ملك أو
لسيدة فتية حلوة . «
وإذ هو ينقب في خرقه وشعره ،
أمسك بيرغوث وقصعة ،
بينما الثالث ، دائر الرأس ، سادر في سنته المائة
كان يغنى ولا يرى مثل طير .

البجعات البرية فى كول (١٩١٩)

البجعات البرية فى كول

الأشجار فى جمالها الخريفى
والممرات يابسة فى الغابة
والماء سماء ساكنة
تحت أصيل تشرين الثانى
وعلى الماء الملتئم بين الصخور
تسعة وخمسون بجعة .

حل على الخريف التاسع عشر
مذ بدأت حسابى أول مرة ،
قبل أن أنتهى تماما
رأيتها ترتفع فجأة
وتنتشر فى حلقات مثلثة كبيرة
تدور فى أجنحتها المتصايحة .
نظرت إلى هذه المخلوقات الفائقات
فأنا الآن قلبى مهموم
لقد تغير كل شئ مذ سمعت أول مرة

فى الأصيل ، أول مرة على الشاطئ ،
جرس أجنحتها يضرب فوق رأسى ،
وتسارع خطوى .
مازالت غير متعبة ،
عاشقات واحدة بعد أخرى
تخوض فى الجداول الباردة
جداول تصحبها طول الطريق ،
أو هى ترتفع فى الهواء ،
ماشاخت قلوبها
عقب حب أو غزو ،
فهى تطوف حيث تشاء .
الآن أشهدهن ساكنات ،
ينزلقن على الماء الساكن ،
على الماء الغامض الجميل .
فبين أى الاندفاعات ستشيد مجدها
وأنا جوار أى بحيرة أو بركة
سأبهج عيون الناس
إذا ما استيقظت ووجدتها طارت بعيدا ؟

فى ذكرى الرائد روبرت جريجورى

الآن وقد انتهى المطاف فى دارنا
أقدر أن أسمى الأصدقاء الذين
ما استطاعوا مشاركتنا
ونحن جوار نار الفحم فى البرج القديم
نتحدث حتى ساعة متأخرة ،
ثم نتسلق السلم الملتوى إلى
أسرة (نومنا)
وقد اكتشفنا حقيقة منسية :
أن كل رفاق شبابى
الذين تدور حولهم أفكارى الليلة ،
كلهم ، موتى .

II

دائما يلتقى الصديق الجديد القديم فىنا
ونألم أن مسّ أيا منهم البرد
وفى محبات قلوبنا ملح لإدامة رونقهم
يكثرت المتخاصمون فى الرأس ،

لكن ما من صديق ممن دعوتهم الليلة

يثير خصاما

لأن جميع من حضروا الليلة ، موتى .

III

ليوبنل جونسون أول القادمين إلى الذهن

ذلك الذى أحب المعرفة أكثر من البشرية .

ومع أنه مهذب أمام السوء

فهو أكثر سقوطا فى القداسة

فهل بدت له معرفة الأغريقية واللاتينية

نفخة صور طويلة

قربته قليلا من أفكاره ،

من ذلك الاكتمال الذى كان يحلم به ؟

IV

ويليه المتسائل جون سينج ،

ذلك الفانى الذى اختار العالم الحى لدراسته

حتى إذا ما استقر فى ضريحه ،

طويل الأسفار ذاك ، وجد عند

هبوط الليل مستقرا بعيدا

وجده فى مكان محصب معزول ، حين حل الليل

فنزله هناك على جنس عاطفى وبسيط كقلبه .

v

ثم أفكر بالعجوز جورج بولكسفن
أفكر فى شبابه مفتول العضل ، مربى الخيول
الذى يعرفه رجال مايو فى اللقاءات أو
فى السباقات
ذلك الذى كان يكشف كيف هى الخيول النقية
والرجال الصلاب ، بكل عواطفهم ، يعيشون
كما النجوم الجريئة ينحدرون
أربعات أو ثلاثات ،
لقد شاخ (الآن) فهو رخو وفى مكانه يتأمل .

VI

أولئك كانوا صحبى الحميمين قبل سنين
شاغلى العقل والحياة ،
حياتى تلك ،
لكن وجهوهم تبدو الآن فاقدة الأنفاس
تتطلع إلى من صورة قديمة فى كتاب ،
لقد اعتادت على افتقادهم الحياة
لكنى ما اعتدت على افتقاد الولد العزيز لصديقى العزيز ،
سدنى ، رجلنا المكتمل :
وإن يشارك هو أيضا
فى قطيعة الموت تلك .

VII

كل الأشياء التى تبتهج برؤيتها العين الآن كان يحب ،
تلك الأشجار التى حطمتها العواصف
فألقت ظلالها على الجسر والطريق ،
البرج القائم على حافة النهر
والمخاضة التى يحركها القطيع الشارب فى الليل
ويفزع الصوت دجاجة الماء
فتهجر فى الليل أرضها .
ربما كان هو المرحب الأكثر حميمية بك .

VIII

حين يركب تصحبه كلاب صيده
من قلعة تيللر إلى جوار روكس بورو أو سهل اسبركلى ،
قليلون أولئك الذين يحتفظون على المدى بينهم
فقد اجتاز فى مومين مكانا جد خطير
حتى أطبق صحبة عيونهم من دهشة
ترى أين بعد ذلك الذى
ساط جواده دون متاع
ذلك الذى مايزال عقله يسبق حوافر جواده ؟

حلّمنا بأن رساما كبيرا ولد .
لصخور كليز الباردة ولصخور غالوى وأشواكها ،
لذلك اللون العبوس وذلك الحد الناعم ،
هنالك معرفتنا السرية
حيث يضاعف القلب المتطلع توفه ،
جندي وباحث وخيال هو
ومتوقد العزم لينشر بهجة الدنيا .
ماعسى الآخرون أن يشيروا به علينا
فى شتى أمور البيت الجميلة
وهو الذى جرّب أو فهم
العمل فى المعدن والخشب
فى الملبقات والنقش فى الحجر ؟
جندي وباحث وخيال هو
وكل مافعله أنجزه مكتملا
كأن لا تجارة له غير ذلك .

بعضهم يوقد حطبا رطبا
آخرون يوقدون العالم كله فى غرفة واحدة
مثل تين يابس
فإذا تطلّعنا لما حولنا رأينا المدخنة العارية

وقد خرجت سوداء بعد توقف اللهب .
جندي وباحث وخيال هو
كانت تلك هي خلاصة حياته .
فهل ماجعلنا نحلم
أنه كان يستطيع تمشيط شعره الأشيب ؟

فكرت وأنا أرى كم مرة هي الريح
التي تهز الظلّة ، أن استعيد في ذهني
كل ما جرّته الرجولة أو الطفولة
أو ما ارتضاه الصبا .

تلقي الخيال بترحاب لائق كل ذكرى
حتى جاءني بفكرة موته
فأخذت كل قلبي وكل الحديث .

طيار أيرلندي يتنبأ بموته

أعلم أنى مواجه قدرى
فى مكان ما بين السحب فى الأعلى !
أولئك الذين أقاتل لا أكره ،
أولئك الذين أحمى لا أحب
وطنى صليب كلتارتان
وأبناء وطنى صليب كلتارتان
لا نهاية منتظرة تأتيهم بخسارة
أو تجعلهم أكثر سعادة مما من قبل .

لاقانون ولا واجب حتم على القتال
ولاناس الشعب ولا الجموع الهاتفة
نبض فرح وحيد
أثار الصخب بين السحب .
وازنت كل ذلك ، استحضرتة فى ذهنى
(فإذا) الحياة القادمة تبدو ضياع حياة
وضياع حياة هى السنين التى سلفت .

البرج (١٩٢٨)

الإبحار إلى بيزنطة

I

ليس ذلك وطنا للشيخ
الشباب كل بين ذراعى الآخر
والطيور فى الأشجار -
تلك الأجيال المحتضرة - تواصل الغناء
سلالات من السلمون وبحار مزدحمة
بالأسقمري
سمك وحيوان وطير
تتغنى طول الصيف بما يلد ويولد ويموت .
تأسرها موسيقى الحس
فتهمل عمارات العقل الذى لا يشيخ .

II

الرجل المسن شئ رذل
سترة مهترئة على عصا
إذا لم تصفق الروح بيديها وتنشد
وتنشد بصوت أعلى
لكل تهرؤ فى ثوبها الفانى ،

فلا مدرسة للغناء هناك
إلا لفهم صروح جلالها .
لذلك قطعت البحار
وجئت إلى المدينة المقدسة ،
بيزنطة .

أيها الحكماء الواقفون في نار الله المقدسة
كأنكم في فسيفساء الذهب
على الجدران ،
تعالوا من الدار المقدسة
ودوروا بخط لولبي
وكونوا أساطين الغناء لروحي .

خذوا قلبي المريض بالرغبة
الموثق إلى حيوان يحتضر لا يعرف ماهو ،
واحملوني إليكم
في مشغل الأبدية .

إذا ماكنت خارج الطبيعة
فلن اختار من شئ طبيعي صورة لجسدي
بل سأخذ صورة مما يصنعه .

الصاغة الاغريق

من الذهب المطروق ، أو المطلق بالذهب

لكى يبقى الامبراطور النعسان يقظا

أو لكى أحط على غصن ذهبى

أنشد لسادة بيزنطة وسيداتها

عما مضى أو يمضى أو يجىء .

١٩٢٧

البرج

I

ماذا أفعل بهذا السخف يا قلبي ،
أيها القلب المضطرب - أبهذا الكاريكاتير ،
هذا العمر الذي شد إلى
كما شد إلى ذنب كلب ،
لم أكن يوما عاطفيا مثارا
ولا خياليا مسرفا ، ولا كانت أذناى وعيناى
أكثر توقعا للمستحيل -
كلا ، ولاحتى فى صباى ، حين كنا بصحبة العصا والذباية*
أو كنت الدودة الضئيلة التى تتسلق قفا « بن بلبن »
وأمضى نهار صيف عليه .
فهل على أن أسأل آلهة الفن
كى تعود
وأختار صداقة أفلاطون أو صداقة أفلوطين

* يبدو لى أن المقصود هنا الصنارة وطعم صيد السمك حيث يلف الخيط أو يشد على عصا . كما أن من معانى كلمة ذباية fly هى طعم السمك الصغير . وسيتكرر هذا المعنى عند بيتس ... المترجم .

حتى يكتفى الخيال ، حتى أكتفى أذنا وعينا
من الحديث عن المجردات والتولع فيها
أو أن يُسخرَ منى
فيصيون عقب قدمي بدورق مكسور .

II

خطوات على الشرفات وحدقت بأسس المبنى
أو حيث تنبتق الشجرة من التربة مثل أصبع مسود ،
أطلقت الخيال
تحت إشعاع النهار الغارب ، أستدعى
الصور والذكريات من الخرائب والأشجار العتيقة ،
ذلك لأنى
أريد أن أسأل عنها جميعا سؤالا .

وراء سلسلة الجبال عاشت السيدة « فرنج »
ومرة ، حين كانت كل حاملة شموع فضية ،
أو كل شمعدان ، تضيء عتمة الماهاجونى والنيذ ،
كان هناك رجل خدوم
استطاع أن يقدر وأن يحترم كل رغبات
السيدة التى يجلس ،
فهرع ، اندفع للحديقة وجددم أذنى

فلاح صفيق

وأتى بهما إليها على طبق مغطى .

من القلة الذين أتذكرهم ، حين كنت صغيرا

كانت فتاة صغيرة ، تذكرها أغنية ،

كانت تعيش فى مكان ، فى منطقة صخرية ،

تمجد الأغنية لون وجهها

وتطفح ابتهاجا بإطرائها

فإذا هى مشت هناك

تدافع الفلاحون حول جمالها ،

وتضفى الأغنية مجدا باذخا عليها .

ثمة رجال أهاجت تلك الأغنية وطيسهم

فنهضوا من مائدتهم وأعلنوا

أن الصواب مقارنة ما فى خيالهم بما يبصرون

لكنهم أخطأوا إشراق القمر

فى ضياء النهار المعتاد .

لقد مضت الموسيقى بناهتهم

فهوى أحدهم فى مستنقع « كلون » الكبير .

غريب ، أن الرجل الذى صنع الأغنية كان أعمى ،
لكنى أدركت الآن ذلك
ولا أجد شيئاً غريباً ،
فقد بدأت المأساة بـ هومر * الذى
كان أعمى
وهيلين التى خيبت كل القلوب العاشقة .
آه ، لعل للقمر وضوء الشمس شعاعاً واحداً
فإذا ما أفلحت أنا ،
فسأكون سبباً لجنون الرجال .
وأنا نفسى ابتدعت « هانراهان »
وقدته مخموراً أو متنجباً فى الفجر
أتيت به من مكان الأكواخ المجاورة
وقد أخذت به شعوذات عجوز
فتهاوى متعثراً ، يتلمس طريقة أمام وراء
فكان أن كُسرَتْ ساقاه من أجل
رغبة وبهاء شنيع ،
فكرت بكل ذلك الذى كان قبل عشرين سنة :
صحاب طيبون يلعبون الورق فى زريبه

* « هومر » هو « هوميروس » كما يرد فى الكتابات العربية - المترجم - .

فإذا ابتداءً دور الأفعوان العجوز
سحر الورق تحت إبهامه
فصارت كلها ، إلا الورقة « واحد »
رزمة من كلاب لارزمة من ورق
وانقلب هو أرنبا .

هانراهان نهض مهتاجا
وتبع تلك المخلوقات الطالعة نحو -
آه نسيت نحو أى شئ - كفى !
يجب الآن أن أستذكر رجلاً لا الحب
ولا الموسيقى ولا أذن العدو المقطوعة
استطاعت أن تسعده .
كان عَجْلاً جداً ، فَرِحاً ،
شخصاً ما - خرافياً ، وليس من جار
يعرف متى أنهى يومه الساخن :
كان سيداً عريقاً مفلساً لهذا البيت .

قبل أن يحل الخراب بقرون
تسلق السلالم الضيقة
رجال أفضاظ مسلحون ، مفرعون حتى الركب ،

أو مغلقون بالحديد ،
صورهم مختزنة في « الذاكرة الكبرى » ،
جاءوا صرخات عالية وصدورا تلهث
ليُقضوا راحة النائم
بنردهم الخشبي وهو يصفع اللوح .
مادمت أريد أن أسأل الجميع ، فليأتني من يستطيع ،
تعال أنت أيها العجوز المضطرب ، نصف المحنى
أت بالمحتفل الأعمى الهائم بالجمال .
الرجل الأحمر الذى أرسله المشعوذ
عبر مراعى الله ، والسيدة « فرنج »
التي وهبت أذناً حلوة الرهافة
والرجل الذى غرق فى حمأة المستنقع
يوم اختارت الآلهة الساحرات بغىّ البلد .

هل جميع المسنين ، رجالا ونساء ،
أغنياء وفقراء ،
وكل الذين جابوا الصخور أو عبروا من هذا
الباب

قد أعلنوا غضبهم على كبر السن
أم أبقوه سرا كما أفعل أنا الآن ؟

جوابى هناك فى تلك العيون اللاهفة للرحيل
فارتحلى إذن واتركى هانراهان
فما أحواجه هو كل ذكرياته الكبيرة
وأنت أيها الفاسق الدم ،
من له حب فى كل ربح ،
أت لى من ذلك العقل العميق المتفكر
كل ما اكتشفته فى القبر .
أكد أنك تقدر كل غوص كليل غير منتظر
فى متاهة كائن آخر ،
أغرت به عين حلوة أو لمسة
أو آهة .

أ أكثر ما يقيم الخيال
على امرأة كُسِبَتْ أو امرأة خُسِرَتْ ؟
إن كان على امرأة خُسِرَتْ
فاعترف بأنك تنحيت
عن المتاهة الكبرى بعيدا عن
الكبرياء والجبن وأية فكرة حمقاء ماكرة
وأى شئ سمي يوما ضميرا .

وإذا ما صحتِ الذاكرة

فستكون عندئذ الشمس عند الكسوف
وسيظلم عند ذاك النهار .

III

إنه لوقت أكتب فيه وصيتي ،
أختار رجالا مهيين
ليركبوا الأنهار حتى تفجر ينبوع
وفى الفجر يضطجعون جوار حجر يقطر ،
أختارهم ليرثوا كبريائي
كبرياء ناس ماكانوا مشدودين
إلى قضية أو دولة
ولا إلى عبيد يُجلدون
أو طغاة يجلدون .
ناس « بورك » و « جراتان »
وهيوا ، وإن كان لهم أن يرفضوا ،
كبرياء مثل تلك التى للصباح
حين ينساب الضوء المنحدر
أو مثل ذلك الذى للصُور الخرافى
أو ذلك الذى للهطول المفاجئ
بعد جفاف الجداول ،
أو مثل ذلك الذى لساعة

حُتِمَ فيها على التّم أن يثبت عينه
على الشعاع المتلاشى
وهو يطفو حتى نهاية الجدول الملتمع
ليغنى هناك أغنيته الأخيرة .
وأعلن إيماني :
أنى أهزأ من فكر بلوتينوس
وأصرخ بوجه أفلاطون
فما كان الموت ولا كانت الحياة
حتى قرر الانسان كل شئ
وصنع من روحه الممرورة
قفلا ومسندا ويرميلا .
إلى الأبد ، الشمس والقمر والنجم ، كلها ،
وأضف إلى ذلك
إننا ونحن موتى ، ننهض
نحلم ، فنخلق فردوسا من صور .
هيات سلامى
من أشياء إيطالية تعلمتها
ومن حجار اغريقية ذات زهو ،
ومن تصورات شاعر وذكريات عاشق
ومن كلمات نساء تذكّرت .

وكل الأشياء التي يخلق منها الانسان
شبه مرآة فائقة للحلم .
كما كان الغُفْلُ من خلف الكوى
يثرثرون ويصرخون
ويكومون الغصون طبقة فوق أخرى
حتى تعلو
فتستقر أنثى الطير
على قمة الكوة المجوِّفة
حيث عشاها البرى وافرٌ هناك دفؤه .

تركت الايمان وتركت الكبرياء
لرجال سواى ، شباب معافين
يتسلقون سطح الجبل ،
(أولئك) الذين تحت سنا الفجر المتفجر
قد يسقطون حذافةً) .

أولئك المصنوعون من معدن صلب
تهشمهم من بعد تجارة كاسدة

الآن سأحكم روحى
أخضعها للدرس

فى مدرسة تعلللمفة
حتى أرى الجسد المحطم
فلفل دمه ببطء
وحتى الهذفان القللل
أو الشفخوؤة الهالكة
أو أى شر أسوأ
موت أصدقاء ، موت كل عفن لماعة تبهر النفس
فلفس غير عفوم السماء
ساعة ففلاشى الأفق
أو فغفب صفة الطفر الناعسة
فى أؤوار الظلال

١٩٢٦

ألف وتسعمائة وتسعة عشر

I

كثير من الأشياء الحلوة البارعة مضت
بعدها بدت للكثيرين معجزة
محمية من دائرة القمر التي تطلّى الأشياء حواليتها .
هناك وسط البرنز المزخرف والحجر
صورة مصنوعة من خشب الزيتون -
بينما ارتحلت عاجيات فيدياس
وكل الجرادات الذهبية والنحلات .

نحن أيضا كانت لنا لعب كثيرة ونحن صغار
القانون غير معنى بمن يلوم أو يمتدح ،
ولا بمن يرشو أو يهدد ، عادات
أذابت الخطأ القديم مثل شمع في الشمس ،
رأى الناس يُتَضَجُّه الزمان الطويل
فاعتقدنا أنه باق لأيامنا القادمة .
آه . أية فكرة جميلة إذ ظننا

أن أسوأ الأشرار والأوغاد قد انتهوا .
كل الأسنان اقتُلِعَتْ ولم تتعلم بعد
كل الحيل القديمة ،
الجيش العظيم شئٌ مُزَوَّق
فما بينهما ألا يتحول كل مدفع إلى محراث ؟
الملك والبرلمان يظنان (:) دون اشتعال
شئٌ من البارود سيتفجر العازفون بموسيقاهم
لكنهم يظنون يفتقدون المجد ،
ولا مفاجأة توظف فرحاً مسؤولي
الحرس الناعسين .
أيامنا مبتلاة بالثنين
والكابوس يمتطى نومنا
وهناك جندي ثَمِل يترك أمه
المقتولة عند الباب
يزحف في دمها متحرراً من ضربته .

الليل ينضج رعباً ، كما من قبل
وقد وزعنا أفكارنا في الفلسفة
وخططنا لأن نخضع العالم لقانون
لكن ، ما نحن غير أبناء عرس تتقاتل في جحر .

ذلك الذى يستطيع قراءة الرموز ولا يفرق مجهولا
نصف مخدوع بسموم قفطن ضحلة
الذى يعلم إلا طائل
من بذل الصحة أو الثروة أو هدوء العقل
من أجل عمل كبير للفكر أو لليد ،
ولا شرف يترك كبير أثر ،
ليس له غير هدأة واحدة ، وكل ظفر
سينكسر فى عزلته الشبهية .

فهل بن راحة بعد ؟
الانسان عاشق ، يعشق مايتلاشى
فأى شئ بعد نقول ؟
فى البلاد حولك لايجرؤ أحد
على القول أن تلك الفكرة له
أو كان محرضا عليها أو منجبا لها
فكرة إحراق ذلك المنبر فى الأكروبولس
وتحطيم العاجيات شظايا
والتاجرة فى الجراد الذهبى والنحل .

II

حينما كشف راقصوا لوى فولر الصينيون

عن رحم مشع من نسيج العنكبوت ،
ودورى من قماش يطفو ، وبدا
أن تنين الهواء
قد سقط بين الراقصين وداريهم
ودفعهم خارجا فى طريقه النارى .
فالسنة الأفلاطونية لفت صوابا جديدا
وخطأ جديدا بدلا من تلكم القديمة التى سبقت .
كل الناس راقصون وطريقهم
توصلهم إلى قرقعة الجرس الوحشية .
III

شاعر أخلاقى وميثولوجى
يقارن الروح المتحدة بالبعجة ،
وأنا مقتنع بذلك
مقتنع إذا ما بدت فى مرآة مضطربة
قبل أن يغرب وهج حياتها الضئيل .
تلك صورة لها ،
جناحان نصف ممدودين للطيران ،
صدر مندفع زهوا
لتلعب أو لتركب تلك الرياح المصطخبة
من وصول الليل .

إنسان فى تأمله السرى
يضيع وسط المتاهة التى يصنعها
فى الفن أو السياسة ،
ثمة أفلاطونى يؤكد أن فى المحطة
حيث يطرح الجسد والتجارة
تبرز العادة القديمة
فإذا كان لأعمالنا أن تتلاشى مع أنفاسنا
فذلك موت محظوظ
فلن يعمل الظفر
غير أساد عزلتنا .

وثبتت البجعة للسماء القاحلة
كتلك صورة تأتى بالهياج ، تأتى بالغضب
لينهى كل الأشياء ، لينهى
ما تخيلته حياتى الكادحة ،
حتى نصف المتخيل منها ،
حتى الصفحة المكتوبة للنصف .

لكننا نحلم بإصلاح ما يبدو مؤذيا ،
فنؤذى الجنس البشرى .

الآن تهب رياح الشتاء
هى تعلم بأننا حين حلمنا
كنا متصدعى العقول .

IV

نحن الذين قبل سبع سنين
تحدثنا عن الشرف والحقيقة
نصرخ الآن مبتهجين أن أظهرنا
التفاته ابن عرس ، ضرب ابن عرس

V

تعال ، دعنا نسخر من العظماء
الذين على عقولهم مثل تلك الأغطية
فكافحوا كفاحا عسيرا ولزمن طويل
ليُخَلَّفُوا مُنْمَنَةً وراءهم
مافكروا بالريح التى تسوى كل شئ .
تعال نسخر من الحمكاء
وكل تقاويمهم التى يثبتون عليها عيوننا موجوعة
فهم ما رأوا كيف تركض الفصول
ويحدقون الآن فاغرى الأفواه بوجه الشمس .

تعال نسخر من الطيبين

أولئك الذين يتخيلون الخير مُبهجًا
والمرض من العزلة يستوجب عطلة ،
صرخت الريح : لكن أين هو الآن ؟
أسخر بعد ذلك من الساخرين
الذين قد لا ترتفع لهم يد
لتساعد الطبيب أو الحكيم أو العظيم
ليصدوا العاصفة الرديئة ،
ذلك لأننا نعبر بالسخرية .

VI

عنف على الطرقات : عنف خيول
على بعضها راكبون وسيمون ،
مزينة بأكاليل ورد على آذانها الحساسة اللطيفة
وأعرافها المهتزة
لكنها مجهدة من الركض تدور وتدور فى مسالكها .

كلها تتكسر وتتلاشى

ويبرز للشر رأس :

عادت مرة أخرى بنات هيرودياس

هبة ربح ترايبه وبعدها

رعد أقدام وحشد صور

إن غايتهن فى متاهة الريح :
ستجرؤ يدٌ حمقاء على لمس إحدى البنات
فيستدرن كلهن بصرخات رغبة
أو صرخات غضب ، وفق الريح ،
فكلهن عمياوات .

لكن الريح الآن تمطر وقد استقر الغبار
ومرّ من هناك لرجس عيناه كبيرتان بلا فكره

تحت ظلال خُصَلِ حمقاء بشحوب القش
وذلك الشيطان الوقح روبرت أرتيسون
الذى أتت له المغرمة ، السيدة كيتلر
بريشات من طاووس برونزى ،
وأعراف حمر من ديكتهها .

تأملات فى زمن الحرب الأهلية

I

بيوت الأجداد

بين (مساحات) العشب المزهر للرجل الثرى
وبين حفيف تلاله المزروعة ، مؤكداً
أن الحياة تجرى بغير آلام من طموح ،
وتهطل هناك حتى يطفح الأبناء
وكلما ارتقت غائمة زادت مطرا
حتى لكأنها تختار شكلها كما تشاء
ولا تستجيب طائفة أو صاغرة
لميل أو لدعوة آخرين .
أحلام ، ليس غير أحلام ! فهو مر لم ينشد
ولم يجد شيئاً أكيدا وراء الأحلام ،
وبهجة النفس فى الحياة (هى التى)
فجرت ينبوع المتلامع الزاخر
وإن بدا الآن مثل

صدفة بحر كبيرة فارغة انفلقت
طالعة من غموض الجداول الدافقة
لا ينبوعا ،

لقد كان الرمز الذى يظلل
مجد الأغنياء الموروث .

رجل عنيف قاس ، رجل شديد القوى
دعا معمارا وفنانا ، فهذان رجلان
عنيفان قاسيان ، يولجان فى الحجر
حلاوة التوق لليل والنهار ، واللفظ الذى لم يعرفه أحد
لكن حين يدفن السيد ، يبدأ الفأر باللعب
وقد يكون الابن الأكبر فى تلك الدار
هو فأر كل ذاك البرنز والرخام .

أوه ، ماذا لو أن الحدائق ، حيث يتنزّه
الطاووس بأقدام لطيفة على ممرات قديمة ،
لو أن جونو كله ، يخرج الآن من زهرية
أمام آلهة الحديقة غير المكتثرين ،
ماذا لو أن الممرات الناعمة والدروب
الحصيبة ، حيث يجد المتأمل المسترسل راحته
وتجد الطفولة بهجة حواسها ،

قد أخذت عظمتنا مع عنفنا ؟
ماذا لو أن أبوابا واسعة موسومة بالنبالة
وأبنية صممها عصر أسمى ،
والتمشى ذهابا وإيابا على أرضها اللماعة
وما بين غرف عظيمة وشرفات طوال ،
مسطرة عليها رسوم* شهيرة لأجدادنا ،
ماذا لو أن تلكم الأشياء ، الأعظم للجنس البشرى ،
التي كلما قدرتها زادت قدرا ،
أخذت عظمتنا مع مرارتنا ؟

* فى الأصل : لوحات ... المترجم .

II بيتى

جسر قديم وبرج أكثر قدما ،
بيت مزرعة يحميه سياجه ،
وفدان من أرض مخصصة
تنبت في الزهرة متحولة إلى وردة
وفيه دردار معمر رث
وشوك عتيق لا يحصى
وهناك صوت المطر أو صوت كل ريح تهب
ودجاجة الماء ، بهيئة رسمية ،
تعاود عبور الجدول
متعجبة من خياض دزينة أبقار ،
وسلم لولبي وحجرة ذات قوس من صخر
ومجمرة من حجر رمادى موقدها مفتوح ،
وشمعة وصفحة مكتوبة
وأفلاطونى انكب على « البهجة » *
فى شبه حجرة

* وردت فى الأصل باللاتينية *it penserso* وهى قصيدة معروفة للتون كتبها سنة ١٦٢٠ ومغناها البهجة ... المترجم .

يتبصر كيف يتمكن الدائمون الغاضب
من كل شئ .

مسافرون أدركهم الليل
(عائدون) من الأسواق والمعارض
رأوا شمعته في منتصف الليل تألق .

كشخصان يقيمان هنا ، رجل على مبعدة أذرع
نال كدمة من حصانه فهو يمضى أيامه
في هذه البقعة المضطربة ،
حيث هددته الحروب الطويلة ومفاجآت الليل ،
جرحة التّم الآن ، فبدا مُكْتَسِحًا ،
بدا ناسيا منسيا
وأنا ، الذى قد يجد فيه ورثتى الجسديون
من بعدى
يمجدون به عقلا مستوحدا ،
سيرونه يتوافق ورموز محنة .

منضدتي

مسندان ثقيلان ولوح عليه منحة ساتو ،
سيف لايتغير
وضع جوار قلم وورقة
تلك (أشياء) تجعل نهاراتي بلا أهداف
قطعة من ثوب مزخرف
تغطي اللوح الخشبي
ولم يلفظ تشوسر نفسا حين زيفوه .
في بيت ساتو ، كان نحته مثل قمر جديد ،
قمر مضى
وضع (هناك) خمسمائة عام .
إذا لم يطرأ تغيير
فلا قمر ، ليس غير قلب موجوع
لقد نقش متعلمونا أين ومتى
يتخيل عملا فنيا لايتغير .

نقش هذا الانجاز الهائل فى الرسم أو فى الفخار
لقد انتقل من سلف لخلف
وجرى خلال القرون
وبدا غير متغير مثل السيف .

كان الولع الأكبر بجمال الروح ،
الناس ، وأعمالهم ، ينقلون المظهر الذى لا يتغير للروح
إلى أكثر الورثة ثراء ،
مدركين ألا أحد ممن يحبون الفن
المنحط ، قادر على اجتياز باب السماء .

كان له ذلك القلب الموجد ،
فالبرغم من كلام الريف رغبةً بالشباب الحريية
والمشية المتأنقة الرسمية ،
قد أيقظ هو نباهات
وبدا كأن طاووس جونو أطلق صرخته .

أحفادي

وقد ورثت عقلا وقادا
من آبائي القدامى ، فعلى أن أتبنى أحلاما
وأترك امرأة ورجلا ورائي ،
كبعض توقد العقل ، عندها نادرا ما
تلقى الحياة شذى منها على الريح ،
نادرا ما تنشر مجدداً أشعة الصباح ،
وستنتشر التويجات الممزقة على أرض الحديقة
وليس بعد ذلك غير خضرة مهملة .
وماذا لو أن الأحقاد خسروا الوردة
خلال دمار طبيعي للروح
خلال كثير من المشاغل والساعة تدور ،
خلال الكثير من اللهو أو الزواج بحمقاء ؟
لعل هذا السلم المجهد ،
وهذا البرج الشاخص يصيران حطاما دون سقف

تبنى اليوم عشها فى شقوق بنائه
وهناك تعلن هجرانها
للسماء القاحلة .
مركبة بريموم التى طبعتنا بطرازها
جعلت حتى اليوم تتحرك دوائر
وأنا الذى حسبت نفسى الأكثر غنى ،
وجدت فى الحب والصدقة قناعتى ،
فمن أجل صداقة جار قديم اخترتُ الدار
ورممتها ، ومن أجل حب فتاة غيرتُها ،
فأنا أعرف مهما تأكلت ومالت
ستظل هذه الحجار معالمَ لهم ومعالم لى .

الطريق الذى عند بابى

لطيف ، غير منتظم ،
رجل « فلستافى » متين الجسم
جاء يقهقه بنكات عن الحرب الأهلية
فكأن الموت بطلقة من بندقية
أفضل لعبة تحت الشمس

رائد أسمر و رجاله ،
نصف مكسو بالزى الوطنى ،
يقف عند بابى وأنا أتذمر
من رداءة الطقس ، برد ومطر
وشجرة كمثرى أسقطتها عاصفة .

أحصيت تلكم الكرات التى لطخ ريشها السخام
تقودها دجاجة المستنقع على الجدول ،
ثم عدت إلى غرفتى
لتحبسنى ثلوج الحلم الباردة .

A stare Nest at My Window

عش الزرزور قرب نافذتى *

النحل بينى (قفيرا) فى شقوق البناء الرخو
وهنالک تجلب الطيور الأمهات يرقات وذبابا
جدارى يتداعى يانحلات العسل
تعالى وابنى فى بيت الزرزور الخالى .

نحن مطبق علينا ، وقد دار المفتاح
على حيرتنا ، وفى مكان
قتل رجل أو أحرقت دار ،
دونما حقيقة واضحة يشار إليها :
تعالى وابنى فى بيت الزرزور الخالى .

متراس من حجر وخبشب

* فى الأصل .

وقد حيرتنا عبارة stare nest كما حيرت ، كما يبدو ، سوانا من قبل . فقد ترجمها أستاذ فاضل وهو يترجم شاهدا من هذه الأبيات فى دراسة عن بيتس ، بـ « عش التحديق » وله العذر ، فكل المعاجم المتيسرة تؤكد على أن معنى stare يحرق أو تحديق . لكننا لم نر للعبارة معنى فواصلنا البحث فى معاجم كبيرة حتى عثرنا على معنى أخر لها وهو أنها مختصر لكلمة starling وهذا نوع من الزرايزر المهاجرة إلى المملكة المتحدة عبر المحيط . وهنا استقام المعنى فاثبتنا عش الزرزور بدلا من عش التحديق ، والحمد لله على هدايته ... المترجم .

أربعة عشر يوماً من الحرب الأهلية ،
وأمس في المساء دحرجوا في الطريق
ذلك الجندي الشاب الميت مضرجا بدمه :
تعالى وابني في بيت الزرزور الخالي

أطعمنا القلب بالخيالات
فنما القلب متوحشا من الترحال
في عداواتنا مكنون أكثر
مما في محبتنا .

آه يانحلات العسل
تعالى وابني في بيت الزرزور الخالي .

أرى سرابات الكراهة

وامتلاء القلب وفراغه القادم

أتسلق إلى قمة البرج وأنحنى على حجارة مكسورة
ضباب مثل ثلج معصوف به ينتشر فوق كل شيء ،
على الوادى والنهر والدردار وتحت ضوء القمر
الذى بدا غريبا لا يشبه نفسه ،
بدا لا يتغير

بدا سيفا لما خارجا من المشرق .

هبة ريح وتنجرف قطع الضباب القريبة الملتمة
هياجات تذهل ، أحلام تترك الذهن
صور أليفة مهولة تسبح متجهة إلى عين العقل .

جيش مندفع غضبا ، هائج غضبا

وغاضب جوعا

يهم بنهش ذراع أو وجه

ينغمر باتجاه لاشئ وأذرع وأصابعه

تنتشر وتمتد متباعدة لمعانقة لاشئ ،

وأنا تنأى عنى فِطْنَى
من ذلك الهياج الخالى من المعنى ،
بسبب كل ذاك الهياج الصارخ للثأر
من قاتلى « جاكس مولى » .
سيقانهم طويلة ، لطاف نحاف ،
عيونهم بلون الزبرجد ،
وحيدو قرن سحريون يحملون على ظهورهم سيدات
السيدات يطبقن عيونهن الملتدة .
لانبؤات ،
مستذكرة من التقاويم البابلية ،
أطبقت عيون السيدات
فعقولهن ليست غير بحيرة
حتى الشوق يغرق تحت الفيض فيها ،
لاشئ غير الركود يبقى حيث القلوب
مفعمة بحلاوتها والأجساد بجمالها .

سحابة وحيدى القرن الشاحبة ، وعيونهم الزبرجدية ،
الأجفان الرافية نصف المطبقة ،
وأوصال السحابة أو الشارة
والعيون التى أوقد الغضب والأذرع التى أحرقتها ،

تتنحى لحشد لامبال ، تتنحى لصقور صفيقة ،
فلا حلم يبهج النفس ولا كراهة لما يأتي ،
ولا أسي على مافات ،
لاشيء إلا نشب مخلب ورضا عين
وخفق أجنحة لا عد لها
أطفأت ضوء القمر .
أدرت وجهي ، وأغلقت الباب ، وعلى السلم
تساءلت كم مرة أثبت جدارتي بشيء
كل الآخرين يفهمونه أو يشاركونني فيه ،
لكن آه ، أيها القلب الطموح ، فليكن ،
ذلك الأثبات استقدم جمعا من الأصدقاء وأراح ضميرا ،
ولكنه هو الذي زادنا ضنى .
الفرح الخيالي والحكمة نصف المقرؤة للصور الشيطانية *
أرضنا الرجل المعمر كما أرضنا يوما الصبي النامي

١٩٢٣

* في الأصل : الدايمونية . والدايمون Demon هو شيطان أو عفريت . أيضا هو نصف اله في الميثولوجيا اليونانية وقد خمنها حسب موقعها من القصيدة لما في هذا « الاستدراك » بعض العون ... المترجم - .

ليدا والتم

أو

ليدا وفحل البجع*

ضربة مفاجئة . واستمرت الأجنحة الكبيرة تخفق
فوق الفتاة المترنحة ، المذهولة ،
تداعب فخذها
صفافات أصابعه القائمة ومنقاره يمسك
بعنقها من وراء
وقد احتوى صدرها المستسلم بصدوره .

أنى لهذه الأنامل المرعوبة الناحلة أن تدفع
هذا الهول المجنح عما بين فخذها المستسلمين
وما بلجسد تحت ذلك الهياج الأبيض
غير أن يسمع القلب الغريب يخفق حيث التصق ؟

* البجعة فى القصيدة نكر ، ولذا نرى أن يكون عنوان القصيدة : ليدا والتم أو ليدا وفحل البجع .

رعشة فى « أعضائها » تتواصل
فى السور المنشق والسقف المحترق
والبرج وأغا ممنون الميت .
وسيطر عليها الدم الوحشى والسقف المحرق
قد اردت معرفته وقوته
قبل أن يتركها المنقار المكتفى * تهوى ؟

١٩٢٣

* فى الأصل : Indifferent غير المبالى أو غير المهتم ، وقد اخترنا غير هذا لاعتبار يفهمه الأديب
والمعنى ...

بين تلاميذ المدارس

سرت فى غرفة درس طويلة ، أسأل
وراهبة عجوز حنون فى ثياب بيض تجيب ،
الأطفال يتعلمون الحساب والغناء
يدرسون كتب مطالعة وكتب تاريخ
يتعلمون الفصال والخياطة ، أن يتقنوا
كل شئ
فى أحدث الطرق - عيون الأطفال
مندهشة تحديق فى رجل مجتمع مبتسم فى الستين .

أحلم بجسد ليديائى ينحنى
فوق ناب خفيفة ، بحطابة
روتها عن توييح فظ ، أو حادثة تافهة
حولت نهارا طفوليا إلى مأساة -
روت - وبدا أن طبيعيتنا امتزجتنا
فى عالم من تعاطف فتى ،
أو ، كى نغير أمثلة أفلاطون ،
فى أصفر وأبيض المحارة الواحدة .

وأفكر فى تلك النبوة من الحزن أو من الغضب
أنظر لهذه الطفلة أو إلى الأخرى هناك
وأتساءل إن كانت ستظل فى ذلك العمر -
فحتى بنات البجعة يمكن أن تشارك بشئ
من أرث كل بائع متجول
ولها مثل هذا اللون على الوجنة والشعر ،
وهنا يهيج قلبى
إنها تقف أمامى مثل طفل مزده .
صورتها الحالية تطفو فى الذهن
هل صاغها أصبع كاتروسنيو :
تجويف فى الخد كأنها شربت الريح
واكتست بدل لحمها بالظلال ؟
لم أفكر بجسد ليدياذى
كان له جماله يوما - كفى من ذلك ،
الأولى أن أبتسم لكل من يبتسم
وأعلن أن هناك فزاعة عجوزا !

أية أم طافحة بالشباب فى حضنها مخلوق *
خانت به رحيق جيلها

* فى الأصل · shape ومعناها شكل أو هيئة .

فذلك يجب أن ينام ، يصرخ ، يكافح كى يفلت
حسبما يقرر العقار أو التذكر ،
سأفكر فى أبنها ،
هل فعلت غير أن ترى ذلك المخلوق ،
وعلى رأسها ستون شتاء أو أكثر ،
عوضا عن عذاب ولادته ،
أو عن عدم اليقين من قادم أيامه ؟

أفلاطون رأى الطبيعة زبدا
يلعب على الأشكال الشبحية للأشياء * ،
الجندي أرسطو يلعب بكرات البيليه
على بطن ملك الملوك ،
فيثاغورس ذهبى الفخزين المشهور فى العالم
أشتر على قوس الكمان وأوتاره
فأى نجم أنشد وأية آلهات لامباليات سمعن :
ثياب قديمة على عصى عتيقة تطرد الطيور .
كلا الراهبات والأمهات يعبدن خيالات ،
لكن أولئك اللائى تضيؤون الشموع

* الترجمة الحرفية على الشكل الشبحى للشئ ... المترجم .

لَسْن مثل اللائى يرعين أحلام أم ،
أولئك ييقين هيئة فى الرخام أو فى البرونز .
مع ذلك ، هن يكسرن القلوب أيضا - آه
أيتها الحضورات التى
تعرفها العواطف ، المحبة أو الاستجابة
والتي يرمز لها * كل بهاء السماء -
آه أيها السخرة من مغامرة الانسان
والمنبثقون من نفسه ،

الكدّ يزدهر أو يرقص
حيثما لا يلتقى الجسد بابتهاج الروح
ولا يولد الجميال من يأسه
ولا الحكمة كليلة البصر من زينت منتصف الليل
ياشجرة الكستناء ، المزهرة عظيمة الجذور ،
هل أنت الورقة أو الزهرة أو الجذع ؟
آه أيها الجسد المتمايل فى الموسيقى ، أيتها النظرة الصافية
كيف نميز الرقصة من الراقص **؟

* الضمير « ها » يعود إلى الحضورات ، جمع « حضور » . ويبدولنا أن المقصود حضور ناس أو وجوه
معينة تشكل « حضوراتهم » أو « حضوراتها » أزمنة فى الحياة تعنيه ... المترجم .
** فى الأصل : الراقص من الرقصة The dancer from the dance .

ليل الأرواح كلها

(مرثية إلى « رؤيا »)

حلّ منتصف الليل ، والجرس الكبير بكنيسة المسيح
وكثير من الأجراس الأصغر قرعت في الغرفة ،
هو ليل الأرواح كلها ،
وزجاجتان طويلتان من خمرة العنب
حبيب على المائدة . قد يأتي شبح ،
حق للشبح ، قدره حسن جدا
وقد أوضحه موته ،
أن يشرب نفس الخمرة
بينما أفواهنا الخمشنة
تشرب الخمرة كلها .

أحتاج بعض الفهم ، إذ ما اصطخب المدفع
من كل جهة في العالم ، هل يظل جرحي
في تأملات العقل ، يظنون هناك

* الضمير « ها » يعود إلى الحضورات ، جمع « حضور » . ويبدو لنا أن المقصود حضور ناس أو وجوه معينة تشكل « حضوراتهم » أو « حضوراتها » أزمنة في الحياة تعنيه ... المترجم .
** في الأصل : الراقص من الرقصة The dancer from the dance .

تكون ساعة كاملة
ة الغربية

سأ موته .

أغهما

صورة مفردة ،

إن شبحا ناحلا سهل المعشر
مسرفا بقدسيته ،
قد أضاء تماما
الدار الفارحة الكبرى كلها
تلك التي وعدنا بها الأنجيل ،
وبدت سمكة ذهبية تسبح فى إناء .

ودعوت بعده فلورنس إيمرى
التي رأت أولى الغضون على وجهها
الجميل مثير الإعجاب ،
مدركة أن المستقبل سيكدره
جمال متضائل وابتدال يتضاعف ،
فارتأت التعليم فى مدرسة
بعيدا عن الجار والصديق
بين بشرات سمر ، لتبليها هناك
سنوات رثة .
بعيدة عن الأبصار وإلى نهاية خفيت .

قبل تلك العاقبة سافرت كثيرا
فى كلام رمزى

لهندى عارف برحلة الروح .
أى طواف كان لها
فوصلت فلك القمر
وانغمرت فى الشمس ،
وهناك حرة ومسرعة
كانت الفرصة والاختيار ،
نسيت دماها المهشمة
وغرقت فى ابتهاج الذات .

ودعوت ماك جريجورى من قبره
ففى ربيعنا الأول الصعب كنا صديقين ،
وإن تلا ذلك نفور .
ظننته نصف مخبول ، نصف وغد ،
وأخبرته بذلك ، فما انتهت صداقتنا ،
وماذا لو تغير العقل
إذ جاءت الأفكار دونما دعوة
عن أشياء كريمة فعلَ مقتنع
فأغدو نصف بأنى أعمى !
عليه أن يصنع الكثير وقت الشروع
وشجاعته كثيرة صاحبة قبل أن

تدفع به الوحدة للجنون ،
فالتأمل الطويل فى فكرة غير معروفة
تجعل الاتصال البشرى أقل وأقل ،
هم ماكسبوا مالا ولا ثناء .
لكن عنده شيئا للمضيف ،
الزجاجة مقابل زجاجتى ،
كان عاشقا - شبعا
وربما صار أكثر عجرفة إذ صار شبعا .

لكن الأسماء لاشئ . ماجدوى أن تكون لمن ،
لذلك كثرت عناصره . كبرت جيدا
ورائحة خمرة العنب
تهب فمه المتهيح نشوة
لا أحد من الأحياء يشرب من
الخمرة الكلية .
لى حقائق محنطة أقولها
حيثما سخر الأحياء ،
وماهى للأذن الرصينة
لأن كل من سيسمعها
يضحك ويبكى ساعة كاملة .

ت بها

أوكسفورد ١٩٢٠

قد يدعوهُ الأفواه التي لا ريق فيها
أمجد فوق البشرى ،
أسميه موتا في الحياة أو حياة في الموت .

معجزة مو ، طير أو صياغة ذهبية
معجزة أكثر مما هو طير أو صياغة ،
طلع على غصن ذهبى مضاء بالنجوم ،
يمكن أن يصبح مثلما تصبح ديكة الجحيم
أو يغيظه القمر
فيزدرى مجدُ المعدن الذى لا يتغير بصوت عال
الطير الاعتيادى أو تويجة الزهرة
وكل تعقيدات الوحل والدم .

فى منتصف الليل ، على رصيف الامبراطور الصوانى
شُعْلٌ لا حزمة خشب تغذيها
ولا حديد متقد
وليس من عاصفة هناك تربكها .
هى شُعْلٌ تتقد من شُعْلٍ .
حيث الأرواح من الدم تتوالد ،

تأتى ، وكل تعقيدات الغضب تغادر ،
وتموت فى رقصها
فى عذاب الذهول ،
فى عذاب شعلة لاتستطيع أن تحرق كُماً .
تعلو على وحل الدولفين ودمه ،
روحا بعد روح . الصاغة يكسرون الفيض
صاغة الذهب عند الامبراطور !
رخامات الأرض الراقصة
تكسر ضراوات التعقيد المرة ،
ما تزال تلك الصور
تلد صورا جديدة
وما يزال ذلك البحر ممزقا بالدلافين
ومعذبا بالأجراس .

من مايكل روبرتس والراقصة ١٩٢١ -

فصح ١٩١٦

قابلتهم فى أول النهار
جاءوا بوجوه مشرقة
من مقعد أو مكتب
فى منازل رمادية من القرن التاسع عشر
مررت بهم ، منحتهم هزة رأس
أو كلمات مهذبة بلا معنى
أو كنت أنتظر برهة وأقول
كلمات مهذبة بلا معنى ،
وأفكر قبل أن أكون نسجت
حكاية هازئة أو نكتة
لاسر صاحباً عند الموقد فى الحانة ،
وأنا متأكد أنهم وأنى
نعيش حيث ترتدى الملونات من الثياب .
كل شىء تغير ، تغير كليا ،
جمال مفرع ولد .

ضاعت نهارات المرأة
فى طبيعتها وجهلها

ولياليتها فى نقاش حتى يحتد صوتها .
فأى صوت أكثر حلاوة من صوتها (ذاك)
وهى شابة جميلة تمتطى جوادا
وتمضى إلى كلاب الصيد ؟
هذا الرجل كان يدير مدرسة ، وامتطى
حصاننا المجنح ، الآخر ،
صديقه أو مساعده
جاء فى قوته التى قد يحقق بها
فى النهاية صيتا ،
بدت طبيعته مرهفة ،
وجريئة عذبة فكرته
وهذا الآخر لاح لى مخمورا ،
وجلفا مغرورا .
لقد فعل أسوأ الأخطاء
بحق بعض من أحبائى
ومع هذا فأنا أضمنه فى أغنيتى ،
هو الآخر ، تخلى عن دوره ،
فى الكوميديا العابرة ،
تغير كليا :
جمال مفزع ولد .

قلوب لها غرض واحد
يبدو أنها عبر الصيف والشتاء
قد تحولت حجرا
يربك الجدول الحى .
الجواد الآتى من الطريق ، وراكبه ،
والطيور الدائرة من سحابة تهبط
إلى سحابة دونها
أكل ذلك / يتغير دقيقة بعد دقيقة ،
حافر الجواد ينزلق فوق الجرف
فيخوض الجواد فيها ،
دجاجات الماء طويلة السيقان تطفو
دجاجات الماء يدعون ذكورهن
يعشن دقيقة دقيقة
والحجر فى وسط الجميع .

التضحية الطويلة جدا
تحول القلب حجرا
آه متى تنتهى ؟
ذلك دور السماء ، أما دورنا
فهو أن نهمهم باسم فوق اسم
كما نهمهم أم بأسماء طفلها

حتى يشمل النوم أخيرا
أطرافاً توحشت .

أى شئ غير هبوط الليل ؟
كلا ، كلا ، ليس ليلا ، ولكنه الموت ،
أبعد كل هذا ، موت بلا جدوى ؟
قد تحافظ إنجلترا على إيمانها
بكل ماتم وقيل .

نحن نعرف حلمهم ، يكفينا أن نعرف
إنهم حلموا وماتوا ،
فماذا لو أن التجاوز فى الحب
أذهلهم حتى ماتوا ؟
كتبت ذلك شعرا -
ماكدوننا ومكبرايد
وكونوللى وبيرس
الآن وفى الزمن القادم
وحيثما يُرْتَدَى الأَخْضَرُ ،
قد تغيروا ، تغيروا كليا
جمال مفزغ ولد .

أيلول ١٩١٦

ستة عشر رجلا ميتا

آه ، لكننا توسعنا فى الكلام من قبل
الستة عشر رجلا قتلوا بالرصاص
فمن يستطيع الحديث عن الأخذ والرد ،
عما يجب أن يكون أو لا يكون
بينما أولاد الستة عشر رجلا ميتا
يهيجون غليان القدر ؟

تقولون علينا أن نهدي الأرض
حتى تنتصر ألمانيا ،
ولكن من يناقش ذلك
و « بيرس » الآن أصم أبكم ؟
وهل سيرجح منطقهم
وزن الإبهام اليابس لماكدونا ؟

كيف تحلمون بأنهم يسمعون
ولهم أذن تصغى

للرفاق الجدد الذين وجدوا ،

« لورد إدوارد » و « وولف تون » ،

أو يهتمون بأخذنا وردنا

(وهو) حوار عظم لعظم ؟

صلاة لابنتى

ثانية تعول العاصفة ، ونصف مخفية
تحت غطاء المهذ وتحت الدثار
تنام طفلتى ، لا حاجز (للريح) ،
غير شجيرات جريجورى وتل واحد أجرد
فى الطريق إلى هرى القش - والريح
بمستوى السطوح ،
آتية من الأطلس ،
ساعة أمشى وأصلى ،
دفعاً للكآبة الكبيرة التى فى عقلى .

لقد مشيت وصليت ساعة لهذه
الطفلة الصغيرة وسمعت ربح البحر
تزعق حول البرج ،
وتحت أقواس الجسر ، وتصرخ فى الدردار
فوق الجدول الطاغى ،
أتصور فى الحلم المستثار

أن سنوات المستقبل حلت ،
راقصا لطبل مجنون
خارج براءة البحر الفاتكة .

قد تكون جمالا مصانا ، وليست جمالا
يربك عين الغريب أو عينها أمام المرأة ،
فكونها خلقت جميلة جدا ،
ترى الجمال نهاية مقنعة
وتخسر الحنان الطبيعي ، وربما
كشفت حميمة قلب
تريد الصواب ولا تجد صديقا
وقد اختيرت هيلين التي وجدت الحياة
منبسطة وقائمة
وواجهت بسبب أحرق كثيرا من المزعجات
بينما الملكة العظيمة التي خرجت من الموج
دونما أب ، استطاعت أن تجد طريقها
خارج الماء واختارت حدادا مقوس الساقين لها زوجها .
حمق أن نساء لطيفات يأكلن
من قطع اللحم سلطة سفيهة .
حيث لم يعلن نفير « بلنتى »

بلطف علمتها تعليماً خاصاً ،
القلوب لا تنال هبة ولكنها تكتسب
يكتسبها لا أولئك المتناهو الجمال ،
مع أن كثيراً يؤدون دور الأحمق
نالوا جمالاً عاقلاً
وكم من رجل سليم هام
أحب وظن نفسه محبوباً ،
فلا يستطيع أن يبعد عينيه عن حنان بهيج .
عليها تكون شجرة مزهرة مخفية
كل أفكارها ، أفكار عندليب
لا عمل لها غير نشر الطاف أصواتها
وليس غير أن تبدأ بمرح مطاردة
وليس غير أن تبدأ بمرح شجاراً .
عساها تعيش مثل شجرة غار خضراء
تمد جذورها في مكان عزيز مستديم .
عقلي ، وأنا أحب العقول
والجمال الذي استحسن ،
نجح قليلاً وإن جف من تأخره ،
لكنه يدرى أن يُطفأ من كراهة
فتلك أكبر فرص الشر

وإذا لم يكن فى العقل كراهة
فكل هجوم وعنف الريح
لا يبعد العنديل من الورقة .
كراهة العقلاء هى الأسوأ
فدعها تفكر بلعنة الأفكار .
ألم أر أجمل امرأة تولد
بعيدا عن بوق « بلتى » ،
وبسبب عقلها العنيد
خالفت البوق وكل شئ حير
تفهمه الطبائع الهادئة
لأن المنفاخ القديم ملئ
بالريح الغاضبة ؟
تفهمت كل ذلك ، والكراهة كلها أزيحت ،
الروح تستعيد براءتها الأولى
وتتعلم أخيرا أن تبهج نفسها ،
أن تهدى نفسها ، أن تخيف نفسها
وأن إرادتها الحلوة هى إرادة السماء
تستطيع وإن عبس كل وجه
وعصفت ربح كل جهة
وتفجرت كل الأعماق ، أن تظل سعيدة .

لعل عريستها يوفر لها دارا
حيث كل شئ مألوف ، واحتفالي
لأن الغطرسة والكراهة سلعتان
يدار بهما فى الطرقات .
فأين من هذا أن يلد الجمال والبراءة
فى العُرف والاحتفال ؟
الاحتفال اسم للبوق الغنى
والعرف لشجرة الغار ناشرة (الغصون) .

حزيران ١٩١٩

قادة الحشد

عليهم الاحتفاظ بأكيد اتهاماتهم
لكل الذين يخالفون الأغراض الدنيا
ولينزلوا الشرف القائم ويبيعوا أخبارا
مما ابتدع خيالهم الطليق
يهتممون بنفس حبيس ، كأنما « هلكون »
كانت البالوعة الطافحة
أو الأغذية المقذعة
كيف يعرفون
إن الحقيقة تفتح حيث يشع
مصباح الدارس
وإن ذلك المكان هو الوحيد الذي لا يشعر فيه بالوحدة ؟
وهكذا جاء الحشد ،
ماكانوا يابهون بمن يأتون ،
موسيقاهم عالية وأملهم يتجدد كل يوم
وعشقتهم يزداد لهفة
المصباح من الضريح .

المجئ الثانى *

ندور وندور فى دائرة تتسع
الصقر لا يسمع الصقار
والأشياء تتداعى ، والمركز لا يتماسك ،
هى فوضى وقد انهالت على العالم
وطغى الدم القاتم
وفى كل مكان غاض احتفال البراءة ،
الأفاضل يفتقدون الإيمان الراسخ ،
والأراذل
مفعمون بهياج العواطف .

أكد أن بعض الكشف قريب ،
هو المجئ الثانى ، عسير خروج الكلمات
حينما الصورة الكبرى جاءت من الروح الكلى **

* فى الأصل : The second coming وقد فضلنا « المجئ الثانى » ترجمة لها على « العودة الثانية »
والمقصود هو مجئ المسيح .
** فى الأصل : Spiritus Mundi ... المترجم .

فاضطرب بصرى ، وفى مكان
فى رمال الصحراء
شكل بجسد أسد ورأس بشرى ،
نظرته فارغة ، كالشمس بلا رحمة
يحرّك فخذيه البطينين ، بينما حو اليه
تتخاطف ظلال طيور الصحراء الجارحة الساخطة ،
تهبط الظلمة ثانية ، لكنى الآن أعرف
أن عشرين قرنا من النوم الحجرى
أغاظها اضطراب المهدي فاستحالت كابوسا
فأى وحش خشن ، حانت ساعته أخيرا
يجر نفسه باتجاه بيت لحم ليولد هناك ؟

قمر مكممل فى آذار *

١٩٣٥

حشد تحت ضريح « الهزلى الكبير »
حزمة سحب مندفع عبرت فى السماء
وظلت السماء خالية من الغيوم .
نجم أكثر لمعانا هوى ؟
فما هذه التضحية ؟ أيستطيع أحد هناك
أن يعيد سنان كريتان الذى اخترق النجم ؟

ثراء من الخضرة التمتع خلالها ضوء النجم ،
حشد هائج ، ومن بين الغصون اثيق
ولد جميل على مقعد ، قوس مقدس ،
امرأة ، وعلى وتر سهم
اخترق النجم ولدا ،
وصورة لنجم هوى
المرأة ، التى تصورها الأم الكبرى ،
اقتلعت قلبه . بعض أساتذة التصميم

* عنوان القصيدة فى الأصل A Full Moon in March ولم نشأ القول بدر فى آذار وفضلنا « قمر مكممل فى آذار » لاعتبارات لاتخفى على القارئ اللبيب ... المترجم .

نقشوا الولد والشجرة على عملة « سيسليه » .
عصر يُبطلُ عصرًا ،
حين اغتال غرباء : اميت ، فيتزجرالد وتون ،
عشنا نحن رجالا يشاهدون مسرحا مصوغا .
ماذا يهم المشاهد ؟
عبر المشهد مرةً :
لم يمس حياتنا . لكن غضبا عاما سحب الطريدة إلى أدنى

لم يشاركنا أحد إثمنا ، لم نؤد نحن دورنا
على مسرح مصبوغ بينما التهمنا قلبه .

تعال وثبت على نظر اتهام
فأنا عطشٌ للاتهام . كل ما أنشد ،
كل ما قيل في ايرلندا كذبة
أنتجتها عدوى الزحام
أنقذ فتران القوافي قبل موتها
لاترك شيئا غير اللاشيء العائد
لهذى الروح العارية ، دع كل الرجال القادرين
يحكموا إن كان حيوانا أو رجلا .

قصائد أخيرة ١٩٣٦-١٩٣٩

لابس لازولى

إلى هنرى كليفتون

سمعت النسوة المرتعبات يقلن
إنهن مرضن من المقاعد الوثيرة وقوس الكمان
ومن الشعراء دائمي المرح
فكل امرئ يعلم ، أو يجب أن يعلم
إن لم يُنجزَ شئ حاسم
ستخرج الطائرة وزبلن
تقذفان مثلما يقذف (كنج بل) كرات القذائف
حتى تُمسح البلدة أرضاً .

الجميع يمثلون مسرحيتهم الحزينة
هنالك يتبخر هاملت ، وهناك لير
تلك أوفيليا وتلك كورديليا ،
عليهم الحضور الآن فى المشهد الأخير
فستارة المسرح الكبير ستسدل ،
فلا يقاطعن أحد آياتهم بالبكاء لحظة

يكون دورهم مجيدا فى المسرحية .
يعرفون ، إن هاملت ولير فرحان
وإن بهجتهمما هى التى تعكس ذلك الرعب .

كل الرجال انتهوا إلى ذلك ، وجدوا وأضاعوا ،
الحياة قائمة فى الخارج ، والسماء تأتلق فى الرأس
والمأساة وصلت أقصاها .

إن كان هاملت يرتجف ولير هائج الغضب
وكل مشاهد السقوط تسقط مرة واحدة
على مائة ألف مسرح
دون أن تزيد بوصة ولا أونسا .

على أقدامهم جاءوا ، أو على ظهر سفينة
على ظهر جمل أو حصان ، على ظهر حمار أو بغل ،
فالحضارات القديمة كلها ضُربَتْ بالسيف
بعد ذلك ، هم وحكمتهم إلى المخلعة *

لامهارات كاليماخوس

* آلة تعذيب ... المترجم .

الذى نقش الصخر كأن الصخر نحاس ،
وصنع أجواخا تكاد تشرق
وحين اكتسحت المنعطف رياح البحر ،
كانت مدخته الطويلة ذات المصباح
تقف كجذع نخلة ممشوق ، لقد وقفت
يوما حين كل الأشياء تهوى وتقام ثانية
سعداء كان الذين يقيمونها مرة أخرى .

رجلان على الخزف ، الثالث وراءهما
نُقشوا فى لابس لازولى
يطير فوق الاثنين طائر طويل الساقين ،
رمزا لطول العمر ،
الثالث ، ولا ريب ، رجل يخدم ،
يحمل آلة موسيقى .
كل تلونات الصخر ،
كل تشقق يحدث أو تلف
بدأ مجرى ماء ، أو بدأ انهيارا
أو منحدرًا ، فهو الآن منحدر متضخم
ماتزال تهوى عليه الثلوج .

وإن كان هناك يقيناً ، شجرةُ خوخ
أو غصن كرز
يزين منتصف الطريق إلى المنزل
وإن أولئك الضيوف يتسلقون في ذلك الاتجاه ،
فيا لفرحى وأنا أتصورهم يستريحون هناك .

الراقصة الحلوة

الفتاة تمشى راقصة هناك
على الورق المتناثر ، على النجيل جُزَّ حديثاً
على عشب الحديقة الناعم ،
متحررةً من الشباب المرّ ، متحررة من الزحام ،
أو منفصلة عن السحابة السوداء .
آه أيتها الراقصة ، آه ، أيتها الراقصة الحلوة !

إن جاء الأعراب من المنزل
ليتعدوا بها ، لاتقل
ستكون مرتاحة فى الكسل هناك
بل أبعدهم بلطف
حتى تكمل رقصتها ، دعها تكمل رقصتها .
آه أيتها الراقصة ، آه ، أيتها الراقصة الحلوة !

ثالثة أغنيات السيدة

حين تلتقيان أنت وحبىبى الحقيقى
ويعزف أنغاماً بين قدميك ،
لا تتحدثى عن أى من شرور الروح ،
ولا تفكرى بأن الجسد هو الكل ،
لأنى التى هى سيدةُ نهاره
أعرف أسوأ شرور الجسد ،
لكنى بشرف أسفح حبه
حتى لا تمجد أخرى كفايتها
فقد أسمع حين أقبّلهُ
هسيس أفعوان الشبيه ،
أنتِ ، أتركه يستقصى فخذاً ،
والسماوات المجهدة تتحسر .

أغنية العاشق

يتوق الطير للريح ،
والفكرة لا أدري إلى أين تريد ،
والبذرة تحن إلى الرحم .
تلك الراحة نفسها تستقر الآن
فى العقل أو فى العش
أو على فخذين مشدودين .
للدولة رشاشات أكثر مما للدولة من كتب
وأنا رجل مسكون بالخوف ومحنى الظهر من التعب
فدعونى فى زاويتي
كفى تمسك رأسى ، لا أدري ما أفعله
فأنا منذ ابتدأت هذى المأساة
ماعادت تنفعنى الكلمات
نحيت الأوراق بعيدا
وبقيت أفكر فيما يجرى وأهز الرأس
أمام فنون اللعب .

أكر* من العشب

تظل صورة أو كتاب
يظل « أكر » من العشب الأخضر
للهواء والرياضة .
لقد مضت قوة الجسد
وهذا منتصف الليل . وبيت قديم
ساكن إلا من جرد .

هدأت غوايتي
هنا في نهاية الحياة
لكني ما افتقدت خيالي
ولا توقف طاحون العقل
استهلكت خرقة وعظمه
في كشف الحقيقة .

هب لي فورة رجل عجوز

* الأكر acre يساوي ٤٨٤٠ ياردة .

لأوضّح نفسي
لأكون تيمون أو لير
أو ذلك الوليم بليك
الذي يظل يطرق الجدار

حتى تستجيب لندائه الحقيقية .
وعقل مايكل أنجلو
الذي يستطيع اختراق السحب ،
الذي تنتابه جنّة
فيهز الموتى وهم في أكفانهم .

والا ، نسي الناس
عقل النسر في رأس هذا الرجل العجوز .

شبح روجر كيسمنت

أوه من أثار ذلك الضجيج المفاجئ؟
من يقف على العتبة؟
هو لم يعبر البحر
لأن جوبل والبحر صديقان ،
لكن ليس هذا هو البحر القديم
ولا هذا هو الساحل القديم
فمن أثار - ذلك الهدير الساخر
الهدير الذى فى هدير البحر؟
شبح روجر كيسمنت
يقرع على الباب .

جوبل وقف للبرلمان
للكلب يومه
ظن البلد ألا خلاص منه
لأنه يجيد الكلام
فى إفطار الفاصولياء ، وفى الوليمة

فما كان على الجميع غير أن يعلقوا
ثقتهم بالامبراطورية البريطانية ،
وبكنيسة المسيح .
شبح روجر كيسمنت
يقرع على الباب .

جون بل ارتحل إلى الهند
وعلى الجميع أن يهتموا به
فكتب التاريخ وجدت لتؤكد
الآ أحد من سلالة أخرى
له مثل هذا الأثر
أو ارتضع حلييا كالذى رضع ،
والآ حظ لدار انتقدت الإخلاص له .
شبح روجر كيسمنت
يقرع على الباب .

تجولت حول كنيسة القرية
ووجدت مدفن عائلته
واستسخت ما استطعت قراءته
فى ذلك الأسى الدينى ،

وكثيرا ما وجدت شهيرا
لكن الشهرة والامتياز تعقنا .
فتحركوا حولهم ، أولاء الرجال
المحبوبين والمكروهين ،
تحركوا حولهم ، وصيحووا :
شبح روجر كيسمنت
يقرع على الباب .

الصليب الصخرى العتيق

رجل الدولة رجل سهل
يعلن أكاذيبه بقيثار
ويزين الصحفى تلك الأكاذيب
يأخذك من عنقك ،
لتكرر ذلك فى بيتك
وأنت ترتشف بيرتك ،
ويجعل الجيران يصوتون ،
قال الرجل ذو الرداء المرصع
تمت الصليب الصخرى العتيق .

لأن هذا العصر والعصر الذى يليه
ينغرسان فى الخندق
فلا أحد يميز رجلا سعيدا
من أى بئس يمر ؟
إذا اختلط الحمقى باللامعين
فلا أحد يميز هذا من ذاك ،

قال الرجل ذو الرداء المرصع
تحت الصليب الصخرى العتيق .
لكن المثلين الذين تعوزهم الموسيقى
يزيدون أكثر كآبتي ،
يقولون الأكثر إنسانية
أن تجر أقدامك وتنخر وتتن ،
ولا تدري أى تفاهات غريبة
تحيط بالمشهد العظيم ،
قال الرجل ذو الرداء المرصع
تحت الصليب الصخرى العتيق .

واسطة الروح

أحييتُ الشِعْرَ وأحييتُ الموسيقى ، والآن
وبسبب الذين ماتوا أخيرا ، والذين
حلوا بروحي لينجوا من غثاثة مراقدهم
أو بسبب الذين وُجدوا أو لم يُوجدوا
في فلك يدوون ،
أحنى جسدى على مسحاة
وألمس طريقي بيد متسخة .

ولأنى لا أستذكر أن بعض من لم يُوجدوا
لا يخصوننى
ولأن من وُجدوا أو لم يوجدوا
يستنسجون عمل شخص ما
يرغونه بالتراب أو الرمل ،
أحنى جسدى على مسحاة
وألمس طريقي بيد متسخة .

أفكار شبح قديم توامض
أن أتبعها يعنى أن أموت .
لقد أبعدت الشعر وأبعدت الموسيقى ،
أما حماقة الجذر والنبته والزهرة أو الطين
فلا تعينى ،
أحنى جسدى على مسحة
وألمس طريقي بيد متسخة .

هل أنت مقتنع

أنادى أولئك الذين يلقبوننى ابنا ،
حفيدا ، أو حفيدا أكبر ،
أنادى الأعمام ، العمات ، الأعمام الأول ،
آباء الأعمام وأمهات العمات
ليحاكموا ما قد فعلت .
هل أنا بما قد وضعت في كلمات ،
بددت ما قد وهبته الأصلاب القديمة ؟
العيون التي جعلها الموت روحانية
يمكن أن تحكم ،
فأنا لا أستطيع وغير مقتنع .
ذلك الذي في سليجو أو في در مكليف
رفع الصليب الصخري العتيق
ذلك القس ، أحمر الرأس في كونتي داون ،
والرجل الطيب على الفرس ،
سانديمونت كورنيتس ، والرجل النبيل
وليم بولكسن العجوز ، ومدلتون المهرب ،

وبتلرز البعيد وراءنا ،
رجال نصف أسطوريين .

وأنا عجوز واهن على أن أبقى
بين صحب طبيين
فقد كنت دائما أكره العمل
والابتسام للبحر ،
أو أن أظهر فى حياتى
ما أراده روبرت براوننج
بحديث صياد عجوز مع الآلهة ،
لكننى غير مقتنع .

زيارة ثانية للكاليري البلدى *

I

حول صورُ ثلاثين عاما :
كمين ، حجاج على جانب الماء ،
قضية أمام المحكمة ، نصف مخفيين بالقضبان
عليهم الحرس ، كريفت يحرق بكبرياء هائجة
ملاحح كيفن أو جنر لطيفة متسائلة
لا تستطيع أن تخفى روحا
غير قادرة على الأسى أو الراحة ،
جندي ثورى ينحنى طالبا البركة .

II

رئيس دير أو رئيس أساقفة ، بيد مرفوعة
يبارك العلم مثلث الألوان .
قلت « ليست هذه ليست هذه
أيرلندا الميتة لكن هذى أيرلندا

* الكاليري المحلى أو كاليري البلدة ... المترجم .

تخيلها الشعراء ، مزعجة وبهيجة . «
وقفت فجأة أمام صورة امرأة
جميلة لطيفة بنسقتها الفينيسى .
قابلتها مرة ، قبل خمسين عاما
مدة عشرين دقيقة ، فى صالون

III

بقلب أوهنه الحب خمدت ، وصحا قلبي
وعيناي مطبقتان : حيثما نظرت ،
وقع بصرى على صور خيالى الدائمة
أو صورى الزائلة :
ابن أوغست جريجورى ، ابن أختها ،
هيولين ، والد لكل أولاء ،
هازلى لافلى يقف حيا ،
تلك هى الحكاية كلها يرويها منشد راو .

IV

لوحة مانسينى لأوغست جريجورى ،
هى « العظمى منذ رامبرانت » كما يقول جون سينج ،
وأكد أنها اللوحة الأشد حرارة
لكن أين هى الفرشاة القادرة على كشف

كل تلك الكبرياء وذاك التواضع ؟
يائس أنا من قدرة الزمان على
تقديم نماذج محسنة من نساء أو رجال ،
ولا تكرار الامتياز نفسه مرة أخرى .

V

تفتقد ركبتي القرو وسطيتان عافيتهما حتى ينحنيا ،
لكن المرأة ، فى ذلك المبنى حيث عاش الشرف طويلا ،
نرى فيها كل ما افتقدناه
وأنا بعد طفل فكرت ، « قد يجد أطفالي هنا
أشياء عميقة الجذور ، « لكنهم لن يروا نهايتها ،
والآن حلت تلك النهاية ، وبكيت ،
لا ثعلب يلوث وجارا كنسه الغرير -

VI

(صورة مأخوذة من سينسر ولغة العوام) .
جون سينيح وأنا وأوغست جريجورى ، فكرنا :
كل مافعلناه ، كل ماقلناه أو أنشدناه
لا بدأت من تماس بالتراب ،
من تلك الصلة كل شبه بأنتاييس * ينمو ويقوى

* أنتايوس : عملاق مصارع ، هوا ابن الأرض والبحر فى الميثولوجيا اليونانية ، يأخذ قوته من الأرض ،
فاذا رُفِعَ عنها يعود للأرض ليجدد قوته . هرقل هو الذى رفعه إلى السماء ، أبعداه عن الأرض ، فضعف
وتمكن منه ... المترجم .

نحن الثلاثة حسب فى الأزمنة الجديدة
أنزلنا كل شىء إلى أسفل ، لذلك الاختيار الفريد
مرة أخرى ،
حلم النبل والشحاذ .

VII

وهنا جون سينيج ، الرجل العميق الجذور ،
« ناسيا الكلمات الإنسانية » تحت سطح هذا القبر العميق
يا أنت الذى تحاكمنى لاتقاضنى وحدك
هذا الكتاب أو ذاك ، يأتى لهذا المكان المجوف
حيث صور أصدقائى معلقة وتنظر ،
تاريخ أيرلندا فى خطوط تلك الملامح ،
فكر أين يبدأ مجد الإنسان غالبا وينتهى ،
وقل إن مجدى فى هؤلاء الأصدقاء !

الرأس البرونزى

هنا على يمين المدخل هذا الرأس البرونزى ،
بشرى ، إلهى ، عين طائر مدورة ،
وكل شئ سوى ذلك خامد ، موت مومياء ،
فأى ثاو بضريح يستكشف السماء البعيدة
(ينتظر هنا ، بينما كل شئ يموت)
فلا يجد ما يهدى جنون رعبه من ذلك الفراغ ؟

ليس من راقد بذاك الضريح المظلم ،
فشكل تلك المرأة مثل فيض من نور ،
تلك المرأة بالغة اللطف ،
من يقدر أن يقول أى أشكالها
يكشف عن مادتها الحقيقية .
أو مادتها المركبة ، التى ظنها
ماك تاكارت العميق ، حينما رأى فيها ،
والحسرة ملء فمه ، طرفى الحياة والموت .

لكن حتى فى نقطة البدء ، وعند كل
لامع هناك وجديد
رأيت الوحشة . وفكرت
مؤكد أن صورة رعب تعيش فيها ،
رعب شئتَ روحها
وأن انتسابا إليها دعى الخيال لذلك المنحدر
فأخرج كل شئٍ سواها :
لقد توحشتُ
وهمتُ أهذى فى كل مكان ،
« طفلى طفلى ! »
أو أنى فكرت بطبيعتها الخارقة
وكان عينا نفاذة نظرت فى عيناها
وهى بهذا العالم الملوث فى انحداره والموث
فى سقوطه
عالم على جذوع خاوية كُبرٍ واتسع ،
على جذوع متيِّسة ،
حلم يقظة بطولى سخر منه مهرجٌ ومخادع
فتساءلت ما الذى تركوه هم لتستبقيه بعدهم المذبحة .

عطلة رجل الدولة

عشت بين دور كبيرة
ثرواتها أبعدت جموع الناس
والقاعدة طردت الدم الأفضل
وانكمش العقل والجسد
فلا أوسكار تحكّم بالمنضدة ،
لكننى لى طابور من الأصدقاء
من يجيدون أفضل الكلام ، قد ارتحلوا (بعد أن)
تحدثوا عن غرائب ومقاصد .
بعضهم عرف ما أوجع العالم
لكن لم يقل كلمة
لذا تكسبتُ بتجارة أخرى
فأنا أنشد ليلا وصيحا :
نساء فارعات يمشين فى أفالون ذات العشب الأخضر .

هل أنا لورد جانسلور العظيم
رقد على صندوق

بأمر ضابط مزق الخاكي عن قفاه ؟
أم أنا دى فاليرا
أو ملك اليونان ،
أو الرجل الذى صنع المحركات ؟
آه ، سمنى بما يسرك !

هنا مزهرٌ مونتكرين
ووتره القديم الواحد
يُسمَعُنِي لِحنا حلوا
ويبهجنى فأغنى :

نساء فارعات يمشين فى أفالون ذات العشب الأخضر.

مع أولاد وبنات يصحبونه ،
وبثياب زريه :
وقبعة قديمة الطراز ،
أحذية قديمة متهرئة ،
ورداء قاطع طريق مرقع
وبعين كالصقر
يمشى بظهر يابس مستقيم ،
مشية تركى متبختر

يحمل حقيبةً مملأً بالقروش
مع قرد وسلسلة
ولحن قديم فاسد ،
نساء فارعات يمشين فى أفالون ذات العشب الأخضر * .

* أفالون Avalon هى الجزيرة التى أُخِذَ لها الملك آرثر بعد أن جُرحَ جراحات مميتة فى آخر معاركه . هذا فى الأساطير الأثرية .
لكن أفالون فى الميثولوجيا الكلية هى جزيرة التفاح ، أو جزيرة السعادة ، الفردوس الأرضى فى البحار الغربية وإلى هذا تشير القصيدة ... المترجم .

هروب حيوانات السيرك

بحثتُ عن « موضوع وفكرت فيه سدى
بحثت عنه كل يوم ولسته أسابيع أو ما يقاربها .
قد لا أكون أخيراً غير رجل مُنْهَك
وعلى أن أقنع بقلبي ، فقد مرّ شتائى
وصيفى وحل الكبر .
حيوانات سيركى كلها فى العرض ،
أولئك الفتيان المتأنقون ، تلك العربة المجلوة
وأسدّ وامرأة والله أعلم أى شىء آخر .

ما الذى أستطيع غير أن أعدد موضوعات قديمة ؟
أولها راكب البحر « أويزين » ، ذلك الذى
قيد من أنفه عبر ثلاث جزر مسحورة وأحلاك
موهومه ومسرح باطل ومعركة باطلة ونونة باطلة
تمجدها أغنيات قديمة أو عرض بلاط
لكن ما الذى ينفعنى (الآن) أن أطلقه خيالا
وأبقى أنا فى حسرة على صدر عروسه ؟

الحقيقة المقابلة ملأت من بعد مسرحيتها ،
« الكونتيسة كاثلين » ذلك هو الاسم الذى
أسميتها به ،
هى مجنونة يرثى لها ، أضاعت روحها ،
والسماء المهيمنة تدخلت لإنقاذها .
فكرت أن غالىتى دمرت روحها
استعبدها الخيال واستعبدها الكراهية .
ذلك ما جاءنى بحلم
وتملك هذا الحلم لحظتها حبى وأفكارى .
وحين سرق الرجل المخبول والأعمى الخبز
حارب « كوهولين » البحر الطاغى ،
ورغم غوامض قلبى ، وبعدهما قيل كل شئ ،
كان الحلم ، الحلم نفسه ، هو الذى فتننى .
شخصية بعيدة عن الفعل
تُضخّم الحاضر وتعيش على الذاكرة .
الممثلون والمسرح المصنّف استلبا كل حبى ،
لا رموزهما .

تلك الصور المسيطرة
التي نمت واكتملت فى العقل الصافى ،

من أى شىء بدأت ؟
كوم مرفوضات ، أو هى « كَنَسَاتُ » الشارع ،
دوارق قديمة ، زجاجات قديمة وعلبة مكسورة
حديد عتيق ، عظام قديمة ، خرق قديمة ،
وتلك البغى المهذار أمينة الصندوق .
الآن اختفى سُلْمَى . يجب أن اضطلع
حيث تبدأ كل السلالم
فى مخزن القلب المتعفن حيث الخرق والعظام .

صفحة	محتوى الكتاب
3	تمهيد
	دراسات
5	١ - العنف والنبوءة أ.ج ستوك
35	٢ - البرج نورمان جيفرز
	قصائد مختارة
	١ - من مجموعة « الوردة » :
89	وردة السلام
90	وردة العالم
91	وردة المعركة
93	الكونتيسة كاتلين فى الفردوس
94	حين تكونين عجوزا
	٢ - من مجموعة « فى الغابات السبع » :
95	لعنة آدم
98	أغنية هانراهان الأحمر
	٣ - من مجموعة « مسؤوليات » :
100	الصخرة الرمادية
107	أيلول ١٩١٣
109	إلى ظل
111	الشيوخ الثلاثة
	٤ - من مجموعة « البجعات البرية فى كول » :
113	البجعات البرية فى كول
115	فى ذكرى الرائد روبرت جريجورى

- 121 طيار أيرلندى يتنبا بموته
- ه - من مجموعة « البرج » :
- 122 الإبحار إلى بيزنطة
- 125 البرج
- 136 ألف وتسعمائة وتسعة عشر
- 144 تأملات فى زمن الحرب الأهلية
- 154 عش الزرزور قرب نافذنى
- 156 أرى سرايات الكراهة
- 159 ليدا والبعجة
- 161 بين تلاميذ المدارس
- 165 ليل الأرواح كلها
- ٦ - من مجموعة « السلم اللوالبى وقصائد أخرى » :
- 171 بيزنطة
- ٧ - من مجموعة « مايكل روبرتس والراقصة » :
- 174 فصح ١٩١٦
- 178 ستة عشر رجلا ميتا
- 180 صلاة لابنتى
- 185 قادة الحشد
- 186 المجرى الثانى
- ٨ - من مجموعة « قمر مكتمل فى آذار » :
- 188 قمر مكتمل فى آذار
- ٩ - من مجموعة « قصائد أخيرة » :
- 190 لابس لازولى

194 الراقصة الحلوة
195 ثالثة أغنيات السيدة
196 أغنية العاشق
197 « أكر » من العشب
199 شبح روجر كيسمنت
202 الصليب الصخرى العتيق
204 واسطة الروح
206 هل أنت مقتنع ؟
208 زيارة ثانية للكالىرى البلدى
212 الرأس البيرونزى
214 عطلة رجل الدولة
217 هروب حيوانات السيرك

المشروع القومي للترجمة

- | | | |
|---|------------------------------|---|
| ١ - اللغة العليا (طبعة ثانية) | جون كوين | ت . أحمد درويش |
| ٢ - الوثنية والإسلام | ك. مادهو باننيكار | ت . أحمد فؤاد بلبع |
| ٣ - التراث المسروق | جورج جيمس | ت . شوقي جلال |
| ٤ - كيف تتم كتابة السيناريو | انجا كارينتكوفا | ت . أحمد الحضري |
| ٥ - ثريا في غيبوبة | إسماعيل فصيح | ت . محمد علاء الدين منصور |
| ٦ - اتجاهات البحث اللساني | ميلكا إفيتش | ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد |
| ٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة | لوسيان غولدمان | ت : يوسف الأنطكي |
| ٨ - مشعلو الحرائق | ماكس فريش | ت . مصطفى ماهر |
| ٩ - التغيرات البيئية | أندرو س. جودي | ت . محمود محمد عاشور |
| ١٠ - خطاب الحكاية | جيرار جينيت | ت . محمد معصم وعبد الجليل الأزهي وعمر طلي |
| ١١ - مختارات | فيسوفا شيمبوريسكا | ت . هناء عيد الفتاح |
| ١٢ - طريق الحرير | ديفيد براونستون وايرين فرانك | ت : أحمد محمود |
| ١٣ - ديانة الساميين | روبرتسن سميث | ت . عيد الوهاب علوب |
| ١٤ - التحليل النفسي والأدب | جان بيلمان نويل | ت . حسن المودن |
| ١٥ - الحركات الفنية | إدوارد لويس سميث | ت . أشرف رفيق عفيفي |
| ١٦ - أثنية السودان | مارتن برنال | ت . بإشراف / أحمد عثمان |
| ١٧ - مختارات | فيليب لاركين | ت : محمد مصطفى بدوي |
| ١٨ - الشعر الساساني في أمريكا اللاتينية | مختارات | ت . طلعت شاهين |
| ١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة | جورج سفيريس | ت . نعيم عطية |
| ٢٠ - قصة العلم | ج. ج. كراوثر | ت: يعنى طريف الخولي / بدوي عيد الفتاح |
| ٢١ - خوخة وألف خوخة | صمد بهرنجي | ت : ماجدة العناني |
| ٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين | جون أنتيس | ت : سيد أحمد على الناصري |
| ٢٣ - تجلى الجميل | هانز جيورج جادامر | ت : سعيد توفيق |
| ٢٤ - ظلال المستقبل | باتريك بارنر | ت : بكر عباس |
| ٢٥ - مثنوى | مولانا جلال الدين الرومي | ت : إبراهيم الدسوقي شتا |
| ٢٦ - دين مصر العام | محمد حسين هيكل | ت : أحمد محمد حسين هيكل |
| ٢٧ - التنوع البشري الخلاق | مقالات | ت : نخبة |
| ٢٨ - رسالة في التسامح | جون لوك | ت : منى أبو سنه |
| ٢٩ - الموت والوجود | جيمس ب. كارس | ت : بدر الديب |
| ٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢) | ك. مادهو باننيكار | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامي | جان سوفاجيه - كلود كاين | ت : عيد الستار الطوجي / عيد الوهاب علوب |
| ٣٢ - الانقراض | ديفيد روس | ت : مصطفى إبراهيم قهسي |
| ٣٣ - التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية | أ. ج. هويكنز | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣٤ - الرواية العربية | روجر ألن | ت : حصه إبراهيم المنيق |
| ٣٥ - الأسطورة والمعاداة | بول . ب . ديكسون | ت : خليل كلفت |

- ٣٦ - نظريات السرد الحديثة والاس مارتن
- ٣٧ - وأحة سيوة وموسيقاها بريجيت شيفر
- ٣٨ - نقد الحداثة آلن تورين
- ٣٩ - الإغريق والحسد بيتر والكوت
- ٤٠ - قصائد حب آن سكستون
- ٤١ - ما بعد المركزية الأوربية بيتر جران
- ٤٢ - عالم ماك بنجامين بارير
- ٤٣ - اللهب المزدوج أوكافيو باث
- ٤٤ - بعد عدة أصياف ألدوس هكسلي
- ٤٥ - التراث المغفور روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين
- ٤٦ - عشرون قصيدة حب يابلو نيرودا
- ٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١) رينيه ويليك
- ٤٨ - حضارة مصر الفرعونية فرانسوا دوما
- ٤٩ - الإسلام في البلقان هـ - ت - نوريس
- ٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير جمال الدين بن الشيخ
- ٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية داريو بيانوبيا وخ، م بينياليستي
- ٥٢ - العلاج النفسى التدميمي بيتر - ن - نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز ووجر بيل
- ٥٣ - الدراما والتعليم أ . ف . ألتجتون
- ٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح ج . مايكل والتون
- ٥٥ - ما وراء العلم جون بولكنجهيم
- ٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١) فديريكو غرسية لوركا
- ٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢) فديريكو غرسية لوركا
- ٥٨ - مسرحيتان فديريكو غرسية لوركا
- ٥٩ - المحيرة كارلوس مونيت
- ٦٠ - التصميم والشكل جوهانز ايتين
- ٦١ - موسوعة علم الإنسان شارلوت سيمور - سميت
- ٦٢ - لذة النص رولان بارت
- ٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢) رينيه ويليك
- ٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة) آلان وود
- ٦٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى برتراند راسل
- ٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية أنطونيو جالا
- ٦٧ - مختارات قرنانو بيسوا
- ٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى فالتين راسبوتين
- ٦٩ - العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين عبد الرشيد إبراهيم
- ٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية أوخينيو تشانج رودريجت
- ٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمي داريو فو
- ت : حياة جاسم محمد
- ت : جمال عبد الرحيم
- ت : أنور مغيث
- ت : منيرة كروان
- ت : محمد عبد إبراهيم
- ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ملج
- ت : أحمد محمود
- ت : المهدي أخريف
- ت : مارلين تادرس
- ت : أحمد محمود
- ت : محمود السيد على
- ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت : ماهر جويجاتي
- ت : عبد الوهاب علوب
- ت : محمد برادة وعشمانى المايه ويوسف الأطكى
- ت : محمد أبو العطا
- ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
- ت : مرسى سعد الدين
- ت : محسن مصيلحي
- ت : على يوسف على
- ت : محمود على مكى
- ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
- ت : محمد أبو العطا
- ت : السيد السيد سهيم
- ت : صبرى محمد عبد الفنى
- مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
- ت : محمد خير البقاعى .
- ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت : رمسيس عوض .
- ت : رمسيس عوض .
- ت : عبد اللطيف عبد الحلیم
- ت : المهدي أخريف
- ت : أشرف الصباغ
- ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
- ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
- ت : حسين محمود

- ٧٢ - السياسي العجوز ت . س . إليوت
٧٣ - نقد استجابة القارئ جين . ب . توميكنز
٧٤ - صلاح الدين والمالكي في مصر ل . ا . سيمينوفا
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية أندريه موروا
٧٦ - جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي مجموعة من الكتاب
٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢ رينيه ووليك
٧٨ - العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكويتية رونالد روبرتسون
٧٩ - شعرية التأليف يوريس أوسينسكي
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع» ألكسندر بوشكين
٨١ - الجماعات المتخيلة بندكت أندرسن
٨٢ - مسرح ميغيل ميغيل دي أونامونو
٨٣ - مختارات غوتفريد بن
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد مجموعة من الكتاب
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية) صلاح زكي أقطاي
٨٦ - طول الليل جمال مير صادقي
٨٧ - نون والقلم جلال آل أحمد
٨٨ - الابتلاء بالغرب جلال آل أحمد
٨٩ - الطريق الثالث أنتوني جينتر
٩٠ - وسم السيف (قصص) نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق باربر الاسوستكا
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح كارلوس ميغل
الإسباني وأمريكي المعاصر مايك فيذرستون وسكوت لاش
٩٣ - محدثات العولة صمويل بيكيت
٩٤ - الحب الأول والصحة أنطونيو بوينو بايخو
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني قصص مختارة
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة فرنان برودل
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١) نماذج ومقالات
٩٨ - الهم الإنساني والابتزاز المسيهيني ديفيد روينسون
٩٩ - تاريخ السينما العالمية بول هيرست وجراهام توميسون
١٠٠ - مسألة العولة بيرنار فاليط
١٠١ - النص الروائي (تقنيات ومناهج) عبد الكريم الخطيب
١٠٢ - السياسة والتسامح عبد الوهاب المؤيد
١٠٣ - قبر ابن عربي يليه آباء برتولت بريشت
١٠٤ - أوبرا ماهوجني جيرار جينيت
١٠٥ - منخل إلى النص الجامع د. ماريا خيسوس روبيرامتي
١٠٦ - الأدب الأندلسي نخبة
١٠٧ - صورة اللادائي في الشعر الأمريكي المعاصر
- ت . فؤاد مجلي
ت : حسن ناظم وعلى حاكم
ت : حسن بيومي
ت : أحمد درويش
ت : عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : أحمد محمود ونورا أمين
ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي
ت : مكارم الفمري
ت . محمد طارق الشراوي
ت : محمود السيد علي
ت : خالد المعالي
ت : عبد الحميد شيخة
ت : عبد الرازق بركات
ت : أحمد فتحى يوسف شتا
ت : ماجدة العناني
ت : إبراهيم الدسوقي شتا
ت . أحمد زايد ومحمد محيي الدين
ت : محمد إبراهيم مبروك
ت : محمد هناء عبد الفتاح
ت : نادية جمال الدين
ت : عبد الوهاب علوب
ت : فوزية العشماوي
ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
ت : إدوار الخراط
ت : بشير السباعي
ت : أشرف الصباغ
ت : إبراهيم قنديل
ت : إبراهيم فتحى
ت : رشيد بنحدو
ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
ت : محمد بنيس
ت : عبد الغفار مكاوي
ت : عبد العزيز شبيب
ت : أشرف على دعدور
ت : محمد عبد الله الجعيدى

- ١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي مجموعة من النقاد
١٠٩ - حروب المياه جون بولوك وعادل درويش
١١٠ - النساء في العالم النامي حسنة بيجوم
١١١ - المرأة والجريمة فرانسيس هيندسون
١١٢ - الاحتجاج الهادي أرلين علوي ماكلويد
١١٣ - راية التمرد سادي پلانت
١١٤ - مسرحينا حصاد كربجي وسكان المستقع وول شوينكا
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده فرجينيا وولف
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام ليلى أحمد
١١٨ - النهضة النسائية في مصر بث بارون
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق أميرة الأزهرى سنتيل
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط ليلى أبو لغد
١٢١ - الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية فاطمة موسى
١٢٢-نظام السويدي القديم ونموذج الإنسان جوزيف فوجت
١٢٣-إمبراطورية المشانبة وعلاقتها الدولية نيتل الكسندر ولنادولينا
١٢٤ - الفجر الكاذب جون جرائ
١٢٥ - التحليل الموسيقي سيدريك ثورپ ديشي
١٢٦ - فعل القراءة فولفانج إيسر
١٢٧ - إرهاب صفاء فتحى
١٢٨ - الأدب المقارن سوزان باسنيت
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة ماريا دولورس أسيس جاروته
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية أندريه جوندرفرانك
١٣١ - مصر القيمة (التاريخ الاجتماعى) مجموعة من المؤلفين
١٣٢ - ثقافة العولة مايك فيذرستون
١٣٣ - الخوف من المرايا طارق على
١٣٤ - تشريح حضارة بارى ج. كيمب
١٣٥ - المختار من نكت س. إليوت (ثلاثة أجزاء) ت. س. إليوت
١٣٦ - فلاحو الياشا كينيث كونو
١٣٧ - مفكرات ضابط في الحملة الفرنسية جوزيف مارى مواريه
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف إيفلينا تارونى
١٣٩ - باريسقال ريشارد فاچنر
١٤٠ - حيث تلقى الأناهار هربرت ميسن
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر
١٤٣ - قضايا التطهير في البحث الاجتماعى ديريك لايدار
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة كارلو جولونوى
- ت : محمود على مكى
ت : هاشم أحمد محمد
ت : منى قطان
ت : ريهام حسين إبراهيم
ت : إكرام يوسف
ت : أحمد حسان
ت : نسيم مجلى
ت : سمعية رمضان
ت : نهاد أحمد سالم
ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
ت : ليس النقاش
ت : بإشراف/ رؤوف عباس
ت : نخبة من المترجمين
ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
ت : منيرة كروان
ت: أنور محمد إبراهيم
ت : أحمد فؤاد بليح
ت : سمحة الخولى
ت : عبد الوهاب علوب
ت : بشير السبيعى
ت : أميرة حسن نويرة
ت : محمد أبو العطا وأخرون
ت : شوقى جلال
ت : لويس قطر
ت : عبد الوهاب علوب
ت : طلعت الشايب
ت : أحمد محمود
ت : ماهر شفيق فريد
ت : سحر توفيق
ت : كاميليا صبيح
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : مصطفى ماهر
ت : أمل الجبوري
ت : نعيم عطية
ت : حسن بيومى
ت : عدلى السمرى
ت : سلامة محمد سليمان

- ١٤٥ - موت أرتيميو كروث
١٤٦ - الورقة الحمراء
١٤٧ - خطبة الإرانة الطويلة
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وألوتيس
١٥٠ - التجربة الإغريقية
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ج ١)
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى
١٥٣ - غرام الفراغة
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى
١٥٧ - خسرو وشيرين
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ج ٢)
١٥٩ - الإيديولوجية
١٦٠ - آلة الطبيعة
١٦١ - من المسرح الإسياني
١٦٢ - تاريخ الكنيسة
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)
١٦٥ - حكايات الثعلب
١٦٦ - العلاقات بين النوبيين والفلطانيين في إسرائيل
١٦٧ - في عالم طاغور
١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة
١٦٩ - إبداعات أدبية
١٧٠ - الطريق
١٧١ - وضع حد
١٧٢ - حجر الشمس
١٧٣ - معنى الجمال
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء
١٧٥ - التلفزيون في الحياة اليومية
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية
١٧٧ - أنطون تشيخوف
١٧٨ - مخترعات من الشعر اليوناني الحديث
١٧٩ - حكايات أيسوب
١٨٠ - قصة جاويد
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي
١٨٢ - العنف والنوبة
- كارلوس فوينتس
ميجيل دي ليبس
تاتكريد دوست
إنريكي أندرسون إمبرت
عاطف فضول
روبرت ج. ليمان
فرنان برودل
نخبة من الكتاب
فيوليس فاتويك
فيل سليتر
نخبة من الشعراء
جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو
النظامى الكتوجى
فرنان برودل
ديفيد هوكس
بول إيرليش
الخانخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا
يوحنا الاسيوى
جوردن مارشال
جان لاکوتير
أ . ن أفانا سيفا
يشعياهو ليفمان
رابندراتنا طاغور
مجموعة من المؤلفين
مجموعة من المبدعين
ميغيل دليبيس
فرانك بيجو
مختارات
ولتر ت . ستيس
ايليس كاشمور
لورينزو فيلشس
توم تيتنبرج
هنرى تروايا
نخبة من الشعراء
أيسوب
إسماعيل فصيح
فنسننت . ب . ليتش
و . ب . بيتس
- ت : أحمد حسان
ت : على عبد الرؤوف اليمبى
ت : عبد الغفار مكاوى
ت : على إبراهيم على منوفى
ت : أسامة إسبير
ت: منيرة كروان
ت : بشير السباعى
ت : محمد محمد الخطابى
ت : فاطمة عبد الله محمود
ت : خليل كلفت
ت : أحمد موسى
ت : مى التلمسانى
ت : عبد العزيز بقوش
ت : بشير السباعى
ت : إبراهيم فتحى
ت : حسين بيومى
ت : زيدان عبد الحليم زيدان
ت : صلاح عبد العزيز محجوب
ت : مجموعة من المترجمين
ت : نبيل سعد
ت : سهير المصادفة
ت : محمد محمود أبو غدير
ت : شكرى محمد عياد
ت : شكرى محمد عياد
ت : شكرى محمد عياد
ت : بسام ياسين رشيد
ت : هدى حسين
ت : محمد محمد الخطابى
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : أحمد محمود
ت : وجيه سمعان عبد المسبح
ت : جلال البنا
ت : حصه إبراهيم المنيف
ت : محمد حمدى إبراهيم
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : سليم عبدالأمير حمدان
ت : محمد يحيى
ت : ياسين طه حافظ

(نحت الطبع)

موت الأدب	الجانب الدينى للفلسفة
عن الذباب والفئران والبشر	الولاية
العولة والتحرير	جان كوكتو على شاشة السينما
علم اجتماع العلوم	الأرضة
الكلام وأسمايل	العمى والبصيرة (مقالات فى بلاغة النقد المعاصر)
محاورات كونهوشويوس	تاريخ النقد الأدبى الحديث (الجزء الرابع)
رحلة إبراهيم بيك	الإسلام فى السودان
قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	العربى فى الأدب الإسرائيلى
شتاء ٨٤	ضحايا التنمية
الشعر والشاعرية	المسرح الإيبانى فى القرن السابع عشر
ديوان شمس	فن الرواية
عامل المنجم	ما بعد المعلومات
مصر أرض الوادى	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
الرافيل أو الجيل الجديد	المهلة الأخيرة
سحر مصر	الهيولانية تصنع علماً جديداً
أسفار العهد القديم	مختارات من النقد الأنجلو - أمريكى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٥٠٦٢ / ١٩٩٩

الترقيم الدولى (4 - 185 - 305 - 977 - I. S. B. N.)

www.alkottob.com

إن « بيتس أعظم شاعر في عصرنا .. » هكذا وصفه إليوت . إنه عقل شعري مثلما هو نظام براعات في التعبير . لكن بيتس ، بالنسبة للترجمة ، يُعد من أكثر الشعراء افتقاراً لمزاياهم حين يترجمون إلى لغة أخرى . فقصيدته قائمة أصلاً على هذا التوازن العجيب بين الفكرة والعبارة . وعندما يختل التوازن ، تختل القصيدة كلها . « محير بيتس في الترجمة . فحين أكون حرفياً في ترجمة بعض عباراته ، أخل بسحر العبارة . وحين أريد لها تعبيراً شعرياً أجمل ، يحتج عليّ المعنى » .

هذه قصائد مختارة من شعر بيتس وشواهد نقدية تُعرِّف به وتكشف عن غالب مزاياه ..

« أردت بدءاً أن أكتب عن بيتس بحثاً ، دراسة في شعره ، وقد أحببته وصحبت قصائده واهتممت بما كتب عنه ، لكنني رفقت بنفسي وتركت الأمر للأساتذة ذوي الفضل المتخصصين به ؛ فاخترت دراسة الأستاذة أ . ج ستوك : العنف والنبوءة ، من كتابها : « و.ب بيتس : شعرة وفكره » ، واخترت دراسة الأستاذ نورمن جيفرز عن « البرج » أهم دواوين الشاعر ، من كتابه « و.ب. بيتس إنساناً وشاعراً » . فشملت الدراستان أغلب القصائد التي اخترناها ، مثلما اختلفت الدراستان منهجاً وأسلوباً ، فتكاملت فائدتهما لنا » .

To: www.al-mostafa.com

www.alkottob.com